رواية

# وش الصبح

هشام علي الديوك

اسم الكتاب: وش الصبح

التصنيف : (رواية)

اسم المؤلف : هشام علي الديوك

الناشر :النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

alnokhoba@gmail.com

رقم الايداع :

الترقيم الدولي:

المقاس : ١٤ ×٢٠ سم

عدد الصفحات :١٤٠

الطبعة الأولي

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب

أو أي جزء منـه أو تجزئته في نطاق

استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل

من الأشكال، بدون إذن خطي مسبق

رواية

# وسَ الصبح

هشام علي الديوك

# إيضاح

" كل شخصيات وأحداث هذه الرواية نسجت من الخيال ولا تمت للواقع بأي صلة ، قد تقترب في بعض ملامحها مع شخصيات وأحداث لها ظلال في الواقع ، وجرت خلالها تفاصيل شبية لها في المجتمع المصري "

# (١)

يمر الدهر بنا وينقضي ونحن بين مخافتين. بين أجل قد مضي لا ندري ما الله صانع به ، وبين أجل قد بقي لا ندري ما الله قاض فيه لا ندري بالماضي إلا عندما تدركنا رأس سنة جديدة، تلفح السنين أجسادنا، تخدعنا بآمال وأوهام، تصل بنا إلي دروبٍ لا نختارها بل تُفرض علينا، قدر الله مجيئنا لهذا الوجود، وأختار وحدهُ وقت رحيلنا عنه. تركض اللحظات في طرفة عين ولا تعود، تنقضي الليالي كعود ثقاب يحترق، كل شيء يمضي وفق قدره ليصل لنهايته المحتومة، الباقي هو الخلاق العليم وحده، ما أقصر لحظات السعادة، وما أطول لحظات الحزن. تظل حياتنا سلسلة من الصراعات والآلام والدموع والسرور التي لا تنتهي إلا بخروج الروح من الجسد. كم من الوقت يستغرق الحب ؟ سؤال قد يبدو سخيفاً ولكنهُ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياتنا، فالحب هو مظهر من مظاهر سمو الروح ، فهو أكثر الحقائق

الإنسانية تعقيدا، التجربة الخامسة العظيمة التي يجب أن تمر بها الكائنات البشرية. هأنا اكتب في الصفحات التالية هذه القصة التي سطرتها بإصرار حزين ولست أدري إن كانت سوف تداعب أفكارها مشاعر القارئ أم لا ، لكنني سوف أرويها ،واترك للقارئ الحكم عليها في النهاية .

كانت عقارب الساعة تقترب من منتصف الليل ، عندما زادت لسعة برودة الجو ، في أحد ليالي منتصف شهر ديسمبر عام ٢٠١٠ ، كنت أجول داخل المقهى ، هذا المكان الذي أعمل به ، بشارع وابور الفرنساوي بحي بولاق ابو العلا العريق ، أتحرك بين الكراسي كترس داخل آلة ، أسحب صينية من علي المنصة مرصوص عليها أكوب الشاي والحلبة والينسون ، أقدمها للجالسين ، وأعود بعد قليل للمنصة حاملا صينية أخري وعليها الأكواب الفارغة ، وقد تم احتساء ما بها من مشاريب ، إنني لم أجلس منذ ظهيرة اليوم ، فقد تركت المنزل في الساعة الحادية عشر صباحا ، وأنا علي هذه الحالة مُنذ ست سنوات عندما بدأتُ العمل في هذا المقهى لأساعد والدتي الست "كريمة عبد المتعال" بعد أن ودع والدي "يوسف عبد الهادي" هذا العالم تاركاً أربعة أبناء أنا أكبرهم ، كان والدي يعمل بمصلحة الشهر العقاري كعامل بوفيه . ومنذ وفاة أبي أصبحت أنا العائل الوحيد لأسرتي، كم مرت عليَّ هذه السنون طويلة !، أليمة ، تحملت عبئها وتجرعت فيها مرارتها وقسوتها ،

لم أستنشق رائحة الراحة مثل أقراني من الشباب ، ليست لديَّ رفاهية مشاهدة مباراة كرة قدم ، أو شراء شيءً اشتهيه ، فجأة سقط علي كاهلي عبء أسرتي ، أصبحت أنا وحدي كربان سفينة هبت عليها رياحا عاتية وسط البحر تتقاذفها الأمواج المتلاطمة من كل جانب ، بلا رأفة، وأنا أحاول الوصول بها للمرفأ بسلام . استطعت رغم قسوة ما أُعانيه في هذه الحياة أن أحصل علي الثانوية العامة، والتحقتُ بكلية الحقوق جامعة القاهرة حتى وصلت إلي السنة الرابعة واليوم أصبحتُ علي بعد خطواتٍ قليلة من الليسانس ، مجرد شهور .

في المقهى كان يجلس في أحد أركانه، "الأسطي صبحي" النجار كالعادة مع مجموعة من أصدقاءه "الأسطي سمحان" الميكانيكي "والأسطي عنبة" المكوجي وعم "مليجي" المسن والذي يبلغ الرابعة والسبعين عاما، والذي تبدو عليه آثار الزمان مرتسمة في ملامحه. هم من رواد المقهى الدائمين ، اقتربت من مجلسهم المنعقد ، ووضعت الصينية علي المنضدة الصغيرة الملتف حولها الجمع ثم أردفتُ قائلا :

-يا مرحب بالرجالة .. أي خدمة ثانية

التفت لي الأسطي عنبة ثم هتف :

-شكرا يا أستاذ أيمن يا مجدع .. وخلي ودنك معانا

فقد اجتمعوا حول الأسطي صبحي "والذي لم يجلس معهم منذ أسبوع" .. فقال الأسطي سمحان:

-كنت غطسان فين يا أسطي صبحي اليومين اللي فاتوا

فقال الأسطي صبحي :

-كنت ملخوم كده في شغلة.

فقال الأسطي سمحان:

-خير إن شاء الله

تناول الأسطي صبحي كوب شاي من علي الصينية وأرتشف منه رشفة عميقة ذات صوت مسموع ثم قال:

-طب نادي علي الواد أيمن وأطلب لي حجر معسل عشان أعدل بيه دماغي
-من عيني يا أسطي صبحي أنت بس تأمر

التفتَ الأسطي سمحان ناحيتي عندما كنت في أحد أطراف المقهى أحاسب عم "سيد لمعي" أحد زبائن المقهى، عم سيد يبيع العسلية في الموصلات العامة .. نادي عليّ بصوت مرتفع:

-يا أيمن .. أنت يا أستاذ أيمن أفندي .. ما ترد علينا يا حضرة الأبوكاتو .

التفتُ ناحية الصوت ثم اقتربتُ من المجلس :

-يا نعمين يا أسطي سمحان .. أي خدمة.
-نزل هنا حجر معسل لعمك صبحي وخليه علي حسابي.
-بس كده حسابك تقل يا أسطي سمحان
-روح بس يا أخي وبطل غلبة

فرد الأسطي صبحي ظهره للخلف ثم وضع رجل علي رجل وأستطرد يقول بأسي واضح :

-واحد زبون قصدني اعمل له أوضة نوم واتفقت معاه علي ثمنها وأداني عربون ولما نزلت أجيب الخشب من المغلق لقيت سعر الخشب ولع نار .. رحت مسافر دمياط قلت أشوف الحال هناك عامل إيه .. لقيت الدنيا هناك زفت والحال واقف ونص الورش قفلت .. اتصلت بالراجل عشان أقول له ثمن الأوضة هيزيد تلات مرات راح فقال لي هات العربون أنا مش هاعمل الأوضة وطبعا أنا صرفت الفلوس ومش عارف اعمل إيه .

بعد قليل اقتربتُ من المجلس وأنا أحمل في يدي الشيشة المطلوبة ثم جثوتُ علي ركبتي أمام الأسطي صبحي ، وقدمت له طرف اللي فمد يده وتناولها بدون أن يلتفت لي وهو علي حالته.

تدخل الأسطي عنبة المكوجي الذي كان ينصتُ باهتمامٍ بالغ :

-هو الخشب بس اللي ولع .. ده كل حاجة ولعت .. الواحد مش عارف يعمل إيه في الحاجة اللي عماله ترتفع كل يوم والتاني .. أول أمبارح جاءت فاتورة كهرباء للمحل أول مرة أشوفها في حياتي .. خلتني روحت البيت من غير ولا نكلة

مدَّ الأسطي سمحان يده وتناول كوب شاي من الصينية ، بعد أن هدأ بخاره المتصاعد ، أرتشف منه رشفة خفيفة ابتلعها بسرعة ، ثم أمسك بطرف الكوفية ولفها حول رقبته :

-أنا أمبارح دبيت خناقة كبيرة مع مراتي .. وكانت هتوصل للطلاق

رد عم مليجي في لهجة لا تخلو من ضجر :

-ليه كده بس يا سمحان يا ابني .
-ده أنا قرفت منها يا عم مليجي .. دي عايزه واحد قاعد علي بنك فلوس كل يوم والتاني تقول لي هات فلوس .. ما تبطلش طلبات .. إيدها مخرومة مش مخليه ورايا ولا قدامي .. لما زهقت وروحي طلعت .

ثم أردف عم مليجي بلهجة إشفاق :

-ما هي يا سمحان يا ابني البيوت بلاعة فلوس .. وأنت عندك تلات عيال وعاوزين مصاريف والعيشة اليومين دول بقت صعبة والحاجات كلها غليت الطاق طاقين
-وأنا بس هجيب منين ما أنت عارف الحالة اليومين دول زي الزفت والدنيا بقت مش زي زمان .. الزبائن قلت عن الأول.. واللي بيجي يا دوب بيكفي بالعافية .. وهي مش حاسة بحاجة .. فالحة بس كل شويه تقول لي أختي جوزها جاب لها كذا وكذا وأنت دايما بخيل عليّ.

تدخل الأسطي صبحي بعد أن نفث دخان الشيشة في الهواء بهدوء وقال :

-أنا بقي مريح دماغي من الأول .. أنا برميلها الكام جنيه ومماليش دعوة وأقول لها أتصرفي .. مرة القاها عمله طبخة عال العال .. ومرة القاها جابت عيش وفول وطعمية .. المهم ارجع من الشغل ألاقي غدايا .. أتعودت تتصرف من غير ما تتطلب مني حاجة .

فرغ الجميع من احتساء الشاي وخمد دخان الشيشة أمام الأسطي صبحي فوضع اللي علي الشيشة وادخل يده في جيب بنطلونه وأخرج هاتفه المحمول وحملق في شاشته برهة فأكتشف أن الساعة تجاوزت الواحدة والنصف فنهض من مجلسه واستأذن الحاضرين علي أن يراهم بالغد ، بعد قليل نادي الأسطي سمحان عليَّ وتناقشنا في الحساب فأعطاني جزءً من الحساب وأجل الباقي للغد ثم انصرف وباقي المجتمعين . وفي هذه الأثناء كانٍ صديقي "أحمد عبد الجواد" الصحفي بجريدة البداية جالساً في أحد اركان المقهى فقد حضر للمقهى حوالي الساعة الحادية عشرة .. طلب مني فنجان قهوة سكر زيادة بينما راح يكتب في مفكرته وهو يدخن سيجارته ينفث دخانها في الهواء بعصبية ، لم يكن في حالته المعتادة فقد سيطرت عليه حالة من التوتر والقلق .. إنهُ أعز اصدقائي في هذا المكان ، يتردد علي المقهى منذ ثلاث سنوات .. أجدني دائما ما أُحاول أن أجلس معه رغم انشغالي ، اتجاذب معه اطراف الحديث لثقافته الواسعة .. له رؤيه متميزة في تحليل الأحداث السياسية والاقتصادية ..

دائما ما يحكي لي عما يتعرض له في الجريدة من مضايقات أو مشاكل سواء مع رئيس التحرير أو زملائه .. يخبرني بأهم الأحداث سوء في مصر أو العالم .. ولما وضعت أمامه فنجان القهوة وكوب ماء .. حاولت أن اتبين منه سبباً لحالة التوتر التي بدت عليه .. فطلب مني أن أتركه لانشغاله بكتبة مقال هام يتعلق باضطرابات ومظاهرات واسعة عمت بلد عربي اليوم بسبب قيام شاب بإضرام النار في جسده وهذه الأحداث قد تؤثر علينا في الأيام القادمة .. لم أفهم مقصده .. لكنني تركته يكتب ولم أتحدث معه حتي انصرف .. وبينما كنت مشغول وفي حوالي الساعة الثانية أتصل بي زميلي بالكلية "كريم شكري" الذي جمعتني معه علاقة ود متبادلة منذ عامين ، فهو دائم الاتصال بي باستمرار.. اتعرف من خلاله علي أخبار الكلية .. فسألته :

- إيه بقالك مدة ما اتصلتش بيّ .. خير
- بس كنت مشغول شويه .. ولدي كان تعبان اليومين اللي فاتوا .. وكنت معاه في المستشفي .. وانت عامل إيه في الشغل
- الحمد لله .. أهو بنكافح في الدنيا .. لحد ما تتعدل .. إن شاء الله هشوفك في الكلية الأسبوع ده
- بأذن الله .. ما تنساش إن امتحانات الترم قربت .. حاول تذاكر اليومين دول
- ربنا يسهل .. في رعاية الله .. مع السلامة .

## (٢)

غادرت "نرمين" منزلها الكائن بحي منيل الروضة في الحادية عشر صباحا .. استقلت سيارة ميني باص ، متوجه إلي حي السيدة عائشة . نرمين زميلتي بالفرقة الرابعة بكلية الحقوق ، تعيش مع والدتها وتخصص جزءا من وقتها للعمل الخيري في جمعية سيدات مصر للتنمية المجتمعية بشارع الملك المظفر بالقرب من ميدان المماليك بمنيل الروضة، التي تقدم يد العون للأسر الفقيرة المعدومة في الأحياء الشعبية . ظلت الحافلة تسير طوال الطريق بتؤدة ، كانت تجلس بجوار النافذة ترنو ببصرها نحو الشارع تحدق في الأشجار علي جانبي الطريق ، أعمدة الإنارة المرصوصة ، المحلات التجارية التي فتحتْ أبوابها ولم تستقبلِ زبائنها بعد ، سور مجري العيون الأثري الذي يقف شاهدا علي تاريخ نهاية دولة المماليك ، مع مرور الوقت بدأ الملل يتسرب إليها من الحركة البطيئة للسيارة والتي تشق بصعوبة الطريق وسط طوفان الحديد

الصاج المكتظة بها شوارع القاهرة ، وعلي الرغم من قصر المسافة التي ركبتها إلا أنها وبمجرد وصولها إلي ميدان السيدة عائشة هبطت سلم السيارة وكأنها كانت مسافرة في رحلة من القاهرة إلي بكين ، بعد لحظات بدأت تتجول في الميدان وتسأل المارة عن حارة الخولي وكانت تمسك في يدها اليمني ورقة صغيرة وفي يدها الأخرى كانت تحمل حقيبتها علي معصمها ، تتحسس طريقها بهدوء حتى وصلت إلي كشك سجائر علي أحد نواصي الميدان .. توجهت صوب رجل يقف داخل الكشك وسألته عن العنوان ، قضب الرجل جبهته وضيق ما بين عينيه وأزاح طاقيته الصوف وهرش في رأسه وتمتم بصوت منخفض :

- اللهم صلي علي النبي .. حارة الخولي .. أيوه ..

ثم أشار بسبابته وقال لنرمين :

-بصي ياستي .. تمشي طوالي وبعدين تكسري شمال في يمين تلاقي شارع علي ناصيته أجزخانة تمشي لأخره وتدخلي يمين تلاقي حارة الخولي في وشك علي طول .

تغيرت ملامح وجه نرمين كأنها لم تفهم من الرجل شيءً ولكنها لم تحاول أن تسأله مرة أخري ، ثم تحركت صوب الشارع المشار إليه وهي تحاول أن تتذكر الوصف التفصيلي

لصاحب الكشك . عندما انتهي بها المطاف وصلت إلي شارع ضيق متفرع من الشارع الرئيسي .. عرجت إلي الحارة المقصودة وكانت عبارة عن جحر صغير ، وهي تسأل نفسها هل يعيش في هذه البيوت التي تشبه الأكواخ أُناس مثلنا فكلها بيوت قديمة جداً حيطانها متآكلة ومتشبعة بالرطوبة وقد بدتْ آثار الزمن واضحة عليها .. اقتربت نرمين من سيدة ذات بشرة سمراء في العقد الخامس من عمرها ، تجلس علي حجر ، تضع أمامها بعض أعواد من البقدونس والجرجير علي قفص صغير وتغطيه بقطعة خيش قديمة مبللة بالماء ترتدي جلباباً أسود كالح ، تضع علي رأسِها خماراً به عدة ثقوب فسألتها نرمين :

-صباح الخير يا حاجة

ألتفت إليها السيدة ونظرت لنرمين بنظرة فاحصة ثم ردت عليها باستغراب :

-صباح النور يا بنتي .
-مش دي حارة الخولي ؟
-أيوه يا بنتي ..
-تعرفي فين بيت الست نعمة خضر ؟

حدقت السيدة ببصرها في وجه نرمين ورفعت أصبع السبابة علي شفتيها وفكرت مليا ثم هتفت :

-قصدك أم عبير ..

أشارت لها السيدة علي منزل قديم متهالك من طابقين مدخله صغير عليه باب حديدي قديم وصدئ وقد فتحتْ دلفتيه منذ زمن وقالت :

-ساكنه في البيت اللي هناك ده في الدور التاني.

دلفت نرمين إلي مدخل المنزل الضيق والذي تفوح منه رائحة رطوبة عطنه .. سلالمه منحوتة ومتآكلة بفعل الزمن .. ودربزينه عليه لطخات من الإسمنت لسد الشروخ الموجود به ، ولما وصلت إلي الطابق الثاني .. وقفت أمام باب الشقة ..طرقت طرقة خفيفة علي شراعة الباب الزجاجية المشروخة .. فتحت لها فتاة صغيرة لم تتجاوز ربيعها العاشر وفي يدها قطعة جزر كانت تنحت فيها بأسنانها الصغيرة .. فسألتها نرمين وقد رسمت علي وجهها ابتسامة بشوشة :

-ماما موجودة ؟

نظرت إليها الطفلة نظرة فاحصة ببراءة ثم قالت بعفوية :

-ايوه ! .. مين حضرتك
-واحدة صحبتها

جرت الصغيرة إلي الداخل وبسرعة نادت علي أمها ، فخرجت " نعمة "علي الفور ، وهي سيدة أرمله في منتصف العقد الرابع من العمر ولها أربع بنات أكبرهن لم تتجاوز اثنا عشر ربيعاً ، قابلت نرمين بابتسامة باهتة علي وجهها الكادح المنهوك وقالت بفتور شديد :

-أهلاً وسهلاً .. مين حضرتك ؟
-إنتي حضرتك الست مدام نعمة خضر ؟
-أيوه ..أنا نعمة .. أي خدمة

أجابت نرمين علي الفور وبلهجة إملائية كأنها تلقي قطعة محفوظات :

-أنا نرمين رشدي مندوبة جمعية سيدات مصر للتنمية المجتمعية وجايه لحضرتك أعمل معاينة للحالة المعيشية عشان الجمعية وافقت علي طلب الإعانة المقدم منك .

تهلل وجه نعمة فرحاً .. أمسكت بيد نرمين وجذبتها لداخل صالة الشقة :

-أتفضلي حضرتك .. أهلاً وسهلاً يا ألف مرحبا

دخلت نرمين علي استحياء .. أشارت لها بالجلوس علي أريكة صغيرة كان عليها بعض الكتب والكراريس .. خارجة للتو من حقيبة مدرسية ملقاة علي الأرض .. مضت إليها بخطوات بطيئة ثم جلست وقالت :

-الجمعية هتخصص لأسرتك ١٤٠ جنيه إعانة شهرية

تغيرت ملامح السرور علي وجه نعمة إلي سخط مكتوم بعد أن تبدلت الآمال التي بنتها وتلاشت في لحظات لتعود بها إلي واقعها التعيس ثم استدركت قائله بنبرات يائسة :

-بس يا أبلة المبلغ ده هيعمل إيه .. أنا عندي أربع بنات في المدارس والمعاش بتاع جوزي ملاليم .
-وجوز حضرتك الله يرحمه كان بيشتغل إيه ؟
-جوزي الله يرحمه كان بيشتغل عامل في مصنع حلويات .. وفي يوم رجع تعبان من الشغل ودخل ينام بصحيه لقيته ميت .. ولاد الحلال اللي في الحتة شافوا لي شغلة .. داده في حضانة .. ومخبيش عليكي مرتب الحضانة ما بيعملش حاجة .. والعيشة بقت غالية .. قامت أبلة زي حضرتك كده دلتني علي الجمعية بتاعتكم وقالت لي إنها هتساعدك .

استطردت نرمين بإشفاق وقد بدت متأثرة وقالت بلهجة تبرير واضحة :

-مش بأيدي أنا حضرتك مجرد مندوبة للجمعية ومجلس الإدارة هو اللي بيحدد المساعدة لكل أسرة بناء علي بحث الحالة الاجتماعية المقدم .. وبعدين حضرتك ممكن تقدمي التماس لإدارة الجمعية تطلبي فيه زيادة المبلغ المقدم للإعانة لأنه غير مناسب لظروف معيشة الأسرة .

-طيب يا أستاذة ممكن تقدمي الطلب ده وتقولي فيه الكلام ده .. وأنا هختم وابصم عليه .. أنا ما أعرفش القراية ولا الكتابة ..

-علي العموم استلمي دلوقتي الأخطار ده اللي هتصرفي بيه الإعانة الشهرية مؤقتا لحد ما أكتب لكي المذكرة وأشرح فيها حالتك .. واللي فيه الخير يقدمه ربنا .

ردت عليها نعمة وقد أكتسي وجهها انكسار وذله قائلة :

-طيب يا أستاذة

خرجت نرمين من الشقة وقد داهمها إحساس بإهانة هذه السيدة ، كيف تقطع هذه المسافة ، تتخبط للسؤال عن مسكنها وفي النهاية يصرف لها هذا المبلغ البخس ، وهي التي كانت تتمني أن تقدم لها مساعدة تعينها علي شقائها وعناء حاجاتها ، كي تخفف عنها وطأة هذا الفقر المدقع .

لما عادت نرمين للجمعية لاستكمال باقي أعمالها لم تجد إلا كل من الأستاذ "نبيل زهدي" عضو مجلس إدارة الجمعية و"دعاء عبد الوهاب" زميلتها في الجمعية ، دعاء خريجة حديثة من معهد الخدمة الاجتماعية وتتدرب في الجمعية ، مخطوبة من ابن عمها طبيب صيدلي شاب يعمل في إحدى الصيدليات الكبرى ، عقد قرانه عليها وسيتم إتمام زواجهما خلال شهور ، والأستاذ زهدي كان يعمل وكيل للشئون المالية والإدارية بالمركز القومي للبحوث حصل علي بكالوريوس التجارة عام ١٩٧٠ واشترك في حرب أكتوبر وهو الآن بالمعاش يعيش مع زوجته بمفردهما فهو لم ينجب غير بنته هيام التي تعيش مع زوجها في كندا منذ عشر سنوات ، يشغل وقته بالعمل في الجمعية متطوعاً. أخبرت نرمين الأستاذ زهدي بظروف "نعمة خضر" الأرملة التي زارتها بحي السيدة عائشة ظهر اليوم وطلبها منها زيادة مبلغ الاعانة لأن حالتها المادية متدهورة وفي غاية السوء ، فقال لها إنهُ سوف يطلب تعديل المبلغ المحدد بعد اجتماع مجلس الإدارة يوم الجمعة القادم .

عادت نرمين إلي منزلها منهكة بعد قضاء يوم عمل شاق في الجمعية طرقت باب الشقة بخفة يد علي الرغم من أنها تحتفظ بنسخة من مفتاح الشقة في حقيبة يدها لكن بسبب تشتت ذهنها من الإجهاد لم تخرجه .. فقامت والدتها وفتحت الباب ثم سألتها بنبرة قلق :

-إيه اللي أخرك كل ده يا نرمين ؟
-يادوب يا ماما لسه مخلصه شغل في الجمعية

روت لها ما حدث معها منذ الصباح وذهابها لحي السيدة عائشة، وبعدها توجهت للجمعية لاستكمال باقي أعمالها والتي استغرقت منها باقي الوقت.

لما كانت نرمين جالسة علي مكتبها بالجمعية حضر "حسام" ابن مدام "فاديه" رئيسة مجلس إدارة الجمعية وكان علي موعد لمقابلة والدته في مكتبها ليأخذ منها بعض الشيكات والتي سوف يتم صرفها للجمعية ، كان حسام كثير التردد علي الجمعية لأن والدته كانت عادة ما تحتاج إليه للقيام ببعض المهام للجمعية فنشأت بينه وبين نرمين علاقة ود شبه عاطفية . حسام شاب في الخامسة والعشرين من عمره تخرج من كلية التجارة بصعوبة ، تعثر كثيراً في سنوات دراسته ،وهو الأبن الوحيد لمدام فاديه والتي لم تنجب غيره من زوجها " ماجد مدكور " الذي ورث تركة كبيرة عن والده . والده لم ينجب غيره هو واخته التي ماتت في شبابها بمرضٍ غامض . لم يدوم زواجها أكثر من عام ، ذاقت معه صنوفاً من العذاب بدتٍ عليه أعراض سلوكية غريبة منذ أول شهر من الزواج مثلاً يقوم بحركات متكررة ليس لها معني ، تغيّير في تعبيرات الوجه بشكلٍ متكرر، بطريقة تثير الانتباه. اضطرابات في النوم حتي أنهُ يستيقظ ثلاث ليالي لا يغمض

لهُ جفن ، كان حاد المزاج سريع التقلب أحيانا تسيطر عليهِ نوبات متكررة من الضحك أو البكاء دون سبب ، ويوماً بعد يوم زادت حدة هذه الأعراض فكان معظم الأيام مضطرب المزاج ، وذات مرة أصابتهُ حالة غضب عارمة ، تحول إلي كائن شرس أخذ يزمجر بأعلى صوته وفجأة اندفع كإعصار مدمر يطيح بكل شيء أمامه فقد أصابتهُ نوبة هياج شديدة .. حطم فيها أدوات المطبخ وقطع الأثاث .. هجم عليها .. كاد أن يقتلها ، سرعان ما اكتشفت أن زوجها مصاب بمرض الفصام العقلي وبعد معانة ، تم أيداعه بمستشفى العباسية للصحة النفسية ، طلبت الحجر علي أمواله ، ظل بالمستشفى ثلاث سنوات ثم توفي بنفس مرض أخته الغامض ، الذي أودي بحياته في ثلاثة أيام . نشأ حسام مدللا منذ صغره فهو يتمتع بشخصية مذبذبة لا يستطيع أن يتخذ قراراته بسهولة ، يغلب علي تصرفاته الاندفاع والتهور ، ذو رؤية محدودة ، يأخذ كل الأمور بسطحية ، إلا أن نرمين كانت إلي حدٍ ما تميل له لسهولة حديثه وكثرة مزاحه ، في أول لقاء بينهما تبادلا نظرات الإعجاب عندما تصافحا ، عرض عليها ذات مرة بأن تركب سيارته لتوصيلها لمنزلها بعد انتهاء العمل فاعتذرت له بلباقة . ظلت نرمين تطرح سؤالاً لنفسها ، هل تذكر لوالدتها هذا الشعور المتبادل بينها وبين حسام، هذه ليس بأمور تستدعي ذلكٍ .. فهي دائما ما تخبرها عن أي تفاصيل دقيقة تحدث لها يومياً، كل خطوة تخطوها مهما كانت صغيرة. والدتها كانت دائماً

علي قناعة بأنها أحسنت التربية ، لم يخطر ببالها يوماً بأنها سوف تسيء لهذه الحرية التي منحتها لها ، ثقتها فيها كانت كبيرة ، بعد رحيل والدها ومنذ ارتباطها بزوجها "رفعت كامل" كانت تتحين الفرصة المناسبة لتقدم لها النصيحة والإرشاد إذا ما تطلب الأمر ذلك. دخلت نرمين غرفتها بعد أن فرغت من تناول طعامها وكانت تفتح عينيها بصعوبة، وضعت يدها علي فمها وهي تتثاءب ، وأخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها ثم أغلقت جرسه ووضعته علي مكتبها الصغير.. ثم ألقت بجسدها المجهد علي الفراش ، راحت تغط في نوم عميق .. لم تدري بنفسها إلا عندما استيقظت في الصباح علي صوت زوج والدتها ، الذي عاد من عمله للتو بعد غياب ثلاثة أيام قضاها في بني سويف .. فهو يدير شركة للمقاولات ولديه مشروع بصحراء بني سويف ، وبمجرد نهوضها من الفراش وقبل أن تخرج للترحيب بزوج أمها .. فتحت هاتفها المحمول فوجدت ثلاث مكالمات لزميلتها منار.. فقامت بطلبها علي الفور:

-صباح الخير يا منار
-صباح الفل يا نرمين .. إيه يا ابنتي ما بتردیش علي التليفون
-متأسفه يا منار .. أصلي جيت أمبارح من بره مهدودة .. رحت عملت التليفون silent .. وانقلبت نمت .. ولسه صاحية دلوقتي حالاً

-إيه محدش شافك في الكلية من أسبوع ؟
-أصلي كنت مشغولة في الجمعية .. كان عندنا ضغط شغل اليومين اللي فاتوا .
-طيب وهتعملي إيه في المحاضرات اللي فاتتك
-مش مشكلة .. أبقي أخد كشاكيل محاضراتك

سمعت والدة نرمين صوتها حينما كانت جالسه مع زوجها علي المائدة يتناولان معا طعام الإفطار فنادت عليها لتشاركهما الإفطار.. أنهت نرمين مكالماتها مع منار بسرعة :

-طيب سلام دلوقتي عشان ماما بتنادي عليَّ .. وها ابقي أشوفك في الكلية النهارده .

خرجت نرمين من غرفتها بعد أن وضعت علي كتفها فوطة ثم ألقت علي والدتها الصباح ، قبلتها في وجنتها ورنت لزوج والدتها بنظرة ترحاب :

-حمد لله علي السلامة يا عمو رفعت .. وصلت أمتي
- الله يسلمك يا نرمين .. لسه واصل من ساعة .. إيه مش هتفطري معنا ؟ .
-خمس دقائق أدخل الحمام .. وبعدين أجي افطر

بعد عدة دقائق خرجت نرمين من الحمام ثم جلست علي المائدة تتناول الإفطار مع والدتها وزوج والدتها .. تبادل

معها "رفعت" أطراف الحديث ، فهو لا يجد غضاضة في التدخل في شئونها الخاصة .. يعطف عليها .. يعاملها برقة .. وهي تعتبره بمثابة والدً لها، كانت تنصت لهُ باهتمام بالغ ، يتمتع بفطنة ومنطق في الحديث .. ومروءة نادرة.. وشخصية هادئة الطباع من خبرته التي اكتسبها علي مدار سنوات عمره السابع الخمسين ، سافر في شبابه لإيطاليا بعد تخرجه من الجامعة ، وعمل في ميلانو ، أحب فتاة من عائلة ارستقراطية كانت تتمتع بجمال رفيع ، وإحساس مرهف ، تزوجها ، وعاش معها أجمل عشر سنوات في عمره غمرته فيها بحبها ، ذات يوم علم بحملها بعد رحلة علاج من تأخر الإنجاب ، تفجرت في أعماقه فرحة طاغية ، لكن القدر لم يمهله فقد توفيت أثناء الولادة بنزيف حاد في الرحم ومات جنينها في بطنها، استحوذ عليه حزن شديد الوطأة حاول الخروج من محنته فلم يستطيع ، قرر العودة إلي مصر، ورويدا رويدا بدأت تذوب الآمه حتى تلاشت ، ثم بدأ يمارس حياته الطبيعية وبالتدريج خرج من تجربته وهو أشد وعيا، واثقا بنفسه ، شارك والد نرمين في شركة المقاولات ، وبعد وفاة والدها تزوج من أمها ، متحملاً أعباء مسئولية هذه الأسرة ، أهتم بالشركة راح يدخل في مناقصات ومشروعات عديدة كانت ناجحة ، فزادت أرباح الشركة ، أخذ علي عاتقه تحمل أمانة صديقه وشريكه .

# (٣)

يعتبر العمل الشرطي من أصعب الأعمال التي يقوم بها الإنسان. فلا يصلح أي فرد لمثل هذا العمل فهناك صفات أساسية لا يمكن إغفالها في رجال الشرطة ، علي رأسها الانضباط والقدرة علي اقتحام المخاطر ، الأخلاق العالية ، الصدق ، الأمانة ، احترام رؤساءه ، تنفيذ التعليمات بدون تردد ، اللياقة البدنية ، عدم التكبر والتجبر في التعامل مع الناس ، الشدة والحزم في العمل بطريقة لائقة ومقبولة . كل هذه الصفات كانت حافزا لاختيار الشاب مدحت الشلقامي للالتحاق بكلية الشرطة ، فوالده عمل في هذا الجهاز العريق حتى وصل لمنصب مرموق ثم تمت إحالته للتقاعد ، ومنذ تخرجه ، لم ينقطع عن العمل ليلاً أو نهاراً حتى في أقسي الظروف ، ولما توفي والده بعد أربع سنوات من تخرجه أصبح يقوم برعاية والدته وأخته الصغرى .. بينما الأخت الكبرى نجوي تزوجت قبل وفاة والده من الدكتور عصام مندور أستاذ أمرض الكبد بكلية طب الإسكندرية وتعيش بالإسكندرية منذ زواجها وأنجبت منه طفلين مروان وزياد.

كان مدحت يتحلى بالتفاني في أداء واجباته والتنفيذ الدقيق لأوامر رؤساءه .. وبسبب كفاءته المهنية ترقي بسرعة لرتبة رائد .. تم اختياره في قسم مباحث الآداب بمديرية أمن القاهرة ، اهتماماته تنصب فقط في عمله الشرطي ورعايته لصغيرته منار ووالدته المسنة .. فمنار بالنسبة له ليست مجرد أخته الصغرى ، بل ابنته التي لم ينجبها . تولي رعايتها بعد رحيل والده ، لا تستطيع أن تخطو خطوة بدون رأيه حتى أدق تفاصيل شئونها دائما ما ترجع إليه لأخذ رأيه - أبيه مدحت - هكذا دائما ما كانت تناديه ، ذلك النبع العذب الذي تروي به ظمأها من حنان الأبوة ، السياج المنيع الذي يقيها من غدر الأيام ، أشار عليها الالتحاق بكلية الحقوق علي الرغم من أن مجموعها في الثانوية العامة كان يمكن أن يلحقها بأحدي كليات القمة . لم يخفق قلبه للحب إلا مرة واحدة في حياته عندما كان في الرابعة عشرة من عمره ، أحب فتاة كانت معه بالمرحلة الإعدادية .. كان يلتقي بها بعد نهاية الدرس الخصوصي ، قلبه كان ينبض بشدة كلما تحدث إليها ، رغبته لها كانت جامحة ، تتمتع بحس راقي ، عندما يأوي إلي الفراش في المساء كان صوتها يرن في أذنه ، سأل نفسه هل يمكن أن يفصح لها عن هذا الإحساس البريء . هل هذا حقا حب أم مجرد إعجاب بذكائها اللامع وسحر عيناها العسليتان وخفة دمها ، إن كان هذا ليس بحب فماذا يكون إذا ؟ كان علي يقين أنها داخله في كيانه منصهرة في نفسه في كل ذرة من ذرات وجوده .. كان دائما

يصغي لحديثها عند عودتهما من الدرس يسيران سويا يغترف منها شعور الهناء .. ابتسامتها العذبة تثير في عروقه البهجة ، لم يحاول يوما ما لمس يدها فهي عنده آية في النقاء والطهر، حدثته نفسه ذات مرة بأن يصارحها بحقيقة شعوره تجاهها ولكنه أحس وكأنه سوف يذوب خجلاً إذا ما حاول ذلك ، وفي النهاية عجز عن أن يخبرها . وذات يوم علم بوفاتها في حادث سيارة عندما كانت عائدة من زيارة لعماتها بالزقازيق ، فحزن عليها حزناً شديداً وأقسم من يومها أن يوصد قلبه وينحي العواطف جانبا وصب جم اهتمامه علي دراسته ، أصر علي الالتحاق بكلية الشرطة مقتدياً بوالده مثلهُ الأعلى .

❖ ❖ ❖ ❖

توجه مدحت لمكتبه ذات صباح وبمجرد دخوله المكتب رفع سماعة الهاتف وتحدث مع اللواء "عماد راشد" نائب مدير النشاط الداخلي بمباحث الآداب بالمديرية ليطلب مقابلته لعرض المعلومات الواردة له من أفراد المباحث الذين يعملون معه .. فوافق اللواء عماد ، علي الفور توجه لمكتبه .. وبمجرد دخوله للمكتب قدم له التحية .. فطلب منه اللواء عماد الجلوس والتحدث في الموضوع مباشرة :

- صباح الخير يا باشا

- أهلا يا مدحت .. عامل إيه

- الحمد لله يا باشا

- إيه أخبار القضية اللي معاك .. خلصت تحرياتك .. ولا لسه

- تقريبا خلصت ومش ناقص غير أوامر سعادتك

- طيب مش أعرف تفاصيل الموضوع

- المعلومات اللي عرفنها عن صاحب الشبكة إن اسمه عاطف وبيمارس النشاط ده بقاله فترة .. بيشغل النسوان الساقطات مقابل تلات آلاف جنيه في الشهر لكل واحده .. معظم زباينه من السياح العرب .. وعنده اكتر من وكر بيزاول فيه النشاط .. عدد من الشقق وتلات فيلات .. فيلا في القاهرة الجديدة وواحده في حدائق الأهرام والتالتة في التجمع الخامس .. وبيشتغل معاه حوالي تسع نسوان من المطلقات وربات البيوت وطالبات الجامعة .. وأكتر مكان بيسهروا فيه فيلا التجمع .

هتف اللواء عماد بلهجة إعجاب وقد كسي وجه بعض الغبطة :

- عال .. عال .. بالسرعة دي قدرت تجيب كل المعلومات دي .. برافوا يا مدحت .. طيب النهارده هاطلب إذن النيابة .. واسند المأمورية لقيادة العقيد عمر عبد الغفار .

ثم قال وقد أشار بسبابته ناحية مدحت وبلهجة أمر :

- وأعمل حسابك ها تنزل معاه المأمورية

- تحت أمر سيادتك يا باشا

وهم مدحت بالاستئذان :

-أي أوامر تانية يا باشا
-لا شكرا يا مدحت

# (٤)

لاحت أشعة شمس الصباح تنبثق من زجاج شباك حجرتي لتبدد رطوبة الغرفة الصغيرة بقليل من الدفء ، حينما كنت أستلقي علي سريري الصغير العتيق . فقد عدتُ من المقهى في الثالثة فجراً بعد أن أمضيت يوم عمل شاق وبمجرد وصولي لغرفتي ألقيت بجسدي المتهالك علي السرير ، ثم غطيت جسدي ببطانية ولفيت رأسي بكوفية .. سرعان ما غرقتُ في نومٍ عميق .. انتبهت علي أصوات ثرثرة بالصالة .. إنها والدتي عادت من الخارج للتو بعد أن أحضرت معها أكياس الفول والطعمية والعيش ، ثم ما لبثتٍ أن نادت علي فاطمة أختي الصغيرة ذات الثلاثة عشرة ربيعاً :

-أخوكِ صحي يا بنت

-لسه يا ماما .

كان مصطفي شقيقي الصغير والذي لم يتجاوز سبع سنوات مستلقي علي بطنه في أرضية الصالة ، يقلب صفحات مجلة

قديمة .. يتفحص صورها ، يرمقها بتركيز فيه براءة .. فزجرته أمي قائلة :

-قوم يا واد يا مصطفي .. سيب اللي في أيدك ده عشان تفطر

رفع رأسه عن المجلة ثم هتف قائلا :

-جيبتي معاكي جبنة رومي زي ما قلت لك

فقالت له أمي وبلهجة لا تخلو من حزم :

-بس يا واد .. جبنة إيه اللي أنت عاوزها دي .. قوم اترزي أقعد كل وإياك تفتح بوزك بكلمة

ثم ألتفت حولها كمن كانت تبحث عن شيء .. فلم تجد أمامها أخي حسن الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره .. فخاطبت فاطمة أختي قائله لها :

-الله .. أمّال فين يا بنت أخوكِ حسن
-خرج من بعد ما نزلتي علي طول
-وراح فين المخفي ده علي الصبح
-قال لي إنه هيروح يجيب كتاب من واحد صحبه في آخر الشارع

فردت عليها أمي بنبره حادة قائلة :

-راح يجيب كتاب ولا راح يلعب كورة

ثم قالت بلهجة توبيخ وقد أمسكت كتفها بعصبية :

-وأنتي ازاي يا مقصوفة الرقبة تخليه ينزل
-خفت أزعق معاه أقوم أصحي أخويا أيمن
- اعمل فيكي إيه دلوقتي

ولما زادت الجلجلة في الصالة نهضت من السرير ، فلم يعد هناك ثمة أمل في النوم . كان جسدي يعاني من الإنهاك الشديد .. شعرت بكل مفاصلي وعضلاتي متيبسة .. حاولت فتح عيناي بصعوبة .. خرجت للصالة وأنا أهرش رأسي .. ثم قلت لأمي :

-إيه بس الزعيق ده علي الصبح يا أمي

فالتفتت أمي نحوى وقالت :

-أنت صحيت يأبني

فقلت وأنا أدعك عيناي بيدي وأتثأب في خمول وكسل :

-إيه اللي حصل يا أمي

-الواد حسن أخوك خلاني نزلت أجيب الفطار ونزل يلعب في الشارع .. والمزغوده دي سابته ينزل

ألتفتت فاطمة نحوي وتمتمت بلهجة توسل :

-واللهِ يا أخويا هو قال لي إنه هيجيب كتاب من عند واحد صحبه وهيجى علي طول

جلست علي الكنبة وأنا أتثأب ثم أردفت بلهجة طمأنينة قائلا :

-خلاص .. خلاص .. زمانه جاي .. ما تزعليش نفسك كده علي الصبح يا أمي

جلسَت أمي بجواري ثم قالت :

-باين عليك سهرت إمبارح جامد يا ضناي

وقالت وهي تربت علي كتفي :

-أقعد أفطر و بعدين أدخل كمل نومك
-ما خلاص النوم طار من عيني
-طيب أقعد كلك لقمة
-ماليش نفس

-أنا عارفه بس إيه اللي خلاك تشتغل الشغل الهباب ده .. كل يوم ترجع وش الصبح .. وشك بقي قد اللقمة من قلة الأكل وكتر السهر.

-غصب عني يا أمي .. هو كده شغل القهاوي .. وبعدين أنا خلاص أتعودت عليه .. وما تنسيش إن المعلم مش مخلينا محتاجين حاجة .. من يوم ما اشتغلت عنده من ست سنين بعد وفاة المرحوم أبويا وهو بيراعينا .. ومعتبرنى زي ابنه .. وعلي العموم خلاص هانت كلها السنة دي وأخذ الليسانس .. وتبقي تتعدل

-طيب ما تخليه يروحك بدري شويه عشان تقدر تقوم بدري وتعرف تروح الكلية بدل ما أنت بتغيب كتير كده .. وتلتفت شويه لدراستك .. وتعرف تذاكر

-هو فيه قهوه بتقفل بدري يا أمي .. وبعدين البيت عايز مصاريف .. ومعاش أبويا كلام فارغ .

سكتت قليلا وقضبت جبينها ملقيه بعينها بعيداً ثم تنهدت بعمق وقالت في كدر:

-معلش يا ضناي شلت الحمل بدري .. ربنا يسترها معاك ويبعد عنك ولاد الحرام ويحبب فيك خلقه يا أيمن يا ابن بطني

كانت هذه كلمات تمنحني مزيداً من التحدي لهذه المصاعب ، تقوي من عزيمتي وتحفزني علي الإصرار للوصول إلي غايتي ، مهما كانت العقبات التي تواجهني ، تشعرني بأنني جندي مقاتل علي أرض المعركة يقتحم حومة الوغي مصمما علي النصر ، فقد كنت علي قناعة بأن القدر سوف يحنو عليّ يوما ما ، فكم يعجز الوصف عن تصور حاجتي الملحة للتحرر من هذه الأثقال التي تحملتها وقادني لها القدر والوصول بها إلي مرفأ الأمان ، كم قاومت لحظات اليأس والعجز وأحيانا نظرات السخرية وأحيانا الالفاظ النابية خصوصا من زبائن المقهى ، تجرعت همومي وعبرت عليٍ جسر المتاعب للضفة الأخرى ، و يوما بعد يوم ازددتُ قوة وإرادة وثبات ، فقد استطعت علي مر الأيام اكتساب خبرات وتجارب ومهارة في فن التعامل مع الناس بسبب عملي الدءوب في هذا المكان ، إنها مدرسة الحياة .

# (٥)

كان الوقت ليلا عندما كان الرائد مدحت جالساً داخل سيارة الشرطة في أحد الشوارع الجانبية بالتجمع الخامس .. علي مقربة من الفيلا رقم ٧ في شارع محجوب البنهاوي يراقب مع أفراد الكمين مدخل الفيلا . علي دكه صغيرة أمام مدخل الفيلا كان يجلس رجل سمين قصير القامة يرتدي جلباب صوف رمادي اللون يمسك بيده كوب من الشاي .. نظراته تبدو عليها طيبة ممتزجة ببلاهة ، مكتنز الصدغين ، وأنفه كبيرة متكورة، رأسه كأنها ثمرة قلقاس كبيرة .. يضع عليها طاقية صوف ذات لون مشمشي . مرت ساعة ونصف ومدحت لم يرفع عيناه من علي باب الفيلا يحدق بانتباه ، كان العرق يغمر جبهته رغم برودة الجو في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. سادت حالة استنفار مشوبة بتوتر لكل أفراد الكمين من حوله ، كان يدخن سيجارة بشراهة ، وبجواره سائقه "وهدان " وهو جندي له جسد هزيل يطغي علي شكل ملامح وجهه أسنان عريضة لونها اصفر حالك

من آثار التبغ. كانت سيارة العقيد عمر عبد الغفار قائد الكمين تقف علي مقربة من سيارته ، ومعه باقي أفراد الكمين ، ومع مرور الوقت وانخفاض حركة الشارع ازدادت حالة الاستنفار والقلق لدي أفراد الكمين ، فجأة توقفت سيارة مرسيدس فارهة ، كان يجلس في مقعدها الخلفي شخص تبدو عليه ملامح خليجية له مظهر وقور وبجواره كانت تجلس فتاة ذات قامة نحيلة وصدر ناهد، علي درجة عالية من الجمال .. تضع علي وجهها ألوان من المساحيق المختلفة.. ترتدي ملابس تظهر أكثر مما تخفي ، تزين صدرها سلسلة ذهبية يتدلى منها قلب ، ويهتز علي جانبي الأذنين قرط مرصع بحبيبات من اللؤلؤ الأبيض ، أنتفض البواب واقفا .. ورفع يده اليمني فحيا الرجل والفتاة، نظرا لهما بابتسامة عريضة .. أقترب من السيارة .. وفتح لهما الباب بترحاب.. ثم انطلق سائق السيارة من أمام الفيلا بعد نزول الرجل والفتاة مخلفا وراءه غبارا كثيفا. كان مدحت يتابع المشهد بتركيز وانتباه. وكان الوقت يزحف ببطء شديد عليه وكأنهُ حصان مربوط يريد أن ينطلق، وبعد مكوث ساعتان ونصف في انتظار لحظة الانطلاق لمداهمة المكان نظر العقيد عمر في ساعة هاتفه المحمول ثم هبط من السيارة.. أومأ لمدحت بإشارة الهجوم فهرع أفراد الكمين لاقتحام الفيلا ، وبسرعة وخفة حركة دخلت القوة للفيلا.. بعد دقائق استطاعت القوة إلقاء القبض علي كل المتواجدين

داخل الفيلا من سيدات ورجال .. كان بعضهم ثملاً ، وبعضهم في أوضاع مخلة مختلفة.

أنتشر أفراد الكمين يجوبون الفيلا يلتقطون متعلقات المقبوض عليهم .. تم تحريز ملابس داخلية وأقراص فيجرا ومخدرات وزجاجات خمور وعدد من الهواتف المحمولة بالإضافة إلي أوراق مالية من عملات مصرية وعملات أجنبية.. وعلي الفور دفعوا المتهمين للسيارات وانطلقت بهم إلي مديرية أمن القاهرة .

# (٦)

بمجرد أن انهي الدكتور "صبري النجدي" محاضرته في مادة قانون الإجراءات الجنائية ، حتى صخبت القاعة بمن فيها من طلاب ، كان المدرج في ذلك اليوم مكتظاً بالطلاب من الجنسيين لدرجة أن بعضهم لم يستطيع الجلوس من شدة الزحام ، ولم يكد يخرج الدكتور صبري من قاعة المحاضرات حتى بدأ الطلاب بالخروج والتجمع في ساحة الكلية . وتوجهت "منار" لتجلس مع "نرمين" و"أماني" في كافيتريا الكلية بعد غياب نرمين عن الكلية فترة .. قالت أماني لنرمين بلهجة مرح :

-إيه يا ست نرمين الغيبة دي كلها
-مشاغل يا أماني .. الجمعية وخده وقتي كله
-هي الجمعية هتخليكي تغيبي عن الكلية الفترة دي كلها .. دا أنتى حتي مش مستفادة منها ماديا .. يبقي إيه لزوم التعب ده كله .

تدخلت منار بلهجة مقتضبة :

-هي كده غاوية تتعب نفسها علي الفاضي

فردت نرمين بلهجة يغلب عليها الثقة بالنفس والمثالية :

-لو تعرفوا لذة المتعة اللي أنا بحس بيها قد إيه لما بحاول أساعد شخص أو أسرة محتاجة لأيد تتمد لها وتعطف عليها وتخفف عنها معاناتها وهمومها تبقوه تعذروني.

فاستطردت منار وقالت باهتمام شديد :

-يعني الجمعية أهم من الكلية .. ما تنسيش إننا في آخر سنة .. ولازم تخدي بالك من الدراستك .. ولما تبقي تخدى الليسانس ابقي يا ستي اعطفي علي الناس زي ما أنتِ عايزه .

وفي هذه الأثناء اقتربتُ منهم بخطوات حثيثة وكنت أمسك في يدي مجموعة من الكتب والكشاكيل .. ارتسمت علي وجهي ابتسامة رقيقة ثم ألقيت عليهم التحية :

-صباح الخير أزيكم جميعا .. أزيك يا نرمين

ردت أماني وقد رمقتني بنظرات متفحصة ثم غمزت بعينيها نحو نرمين وسألتني بلهجة ذات معني :

-وإشمعنى نرمين بالذات اللي سلمت عليها

استشعرتُ بشيء من الخجل قد تسلل لنفسي

فردت نرمين قائله :

-أهلا يا أيمن ..أزيك عامل إيه .. فينك .. مش ظاهر في الكلية بقالك فترة

فأجابتُ بأدب واضح ولين :

-أصل كنت مشغول .. ممكن أخذ كشكولك بتاع قانون الإجراءات الجنائية أصوره.
-في الحقيقة كشكولي مش كامل فيه حاجات ناقصه .. ممكن تأخذ كشكول أماني أو منار.. كشاكيلهم كاملة

هتفت أماني بنبرة لا تخلو من مزاح :

-مش بتقولي إنك بتحبي تسعدي المحتاجين .. طيب ما تساعديه ينوبك فيه ثواب

فقالت نرمين بحسم :

-خلاص.. خد كشكولي دلوقتي .. صوره وبعدين لما أكمل الناقص ها ابقي أقولك عليه

ثم أعطتني الكشكول وانصرفت من أمامهم ثم توجهت للمنزل وبعدها إلي المقهى . وعدتُ من المقهى بعد انتهاء العمل وأنا أشعر بصداع شديد يشق رأسي نصفيين كأنها طرقت بمطرقة ثقيلة ، كان التعب والإرهاق يسري في كامل جسدي ، وحينما دخلت إلي حجرتي انطلق آذان الفجر عذباً ليشق سكون الليل .. استلقيت بلامبالاة علي فراشي .. دون أن أخلع ملابسي .. تدثرت بغطائي .. لم تغمض جفوني .. فقد طاردني الأرق .. رحت أتقلب في الفراش يمينا ويسارا .. لقد شب اليوم خلاف حاد بين رواد المقهى بسبب مباراة الأهلي والزمالك والتي كانت تذاع مساء اليوم ، ورحت أسرح بخيالي أستعيد ما حدث منذ عام تقريبا ، يوم المباراة النهائية لكأس أمم إفريقيا بين منتخب مصر وغانا ، إنهُ كان يوما شاقا منذ الصباح ، فقد تحول المقهى في هذا اليوم إلي صالة لمشاهدة مباراة كرة القدم ، حيث دأب المعلم بدر صاحب المقهى علي هذا الأمر عند كل مباراة هامة ، يعد مكان لاستقطاب أكبر عدد من الزبائن ممن يفضلون مشاهدة مباريات كرة القدم في المقاهي .. قمت أنا وصلاح زميلي في العمل برص الكراسي علي هيئة صفوف ووضعنا التلفاز الجديد الذي أشتراه المعلم حديثاً ذو الشاشة الكبيرة خارج المقهى ليتمكن أكبر عدد من رواد المقهى من متابعة المباراة ..كان قد بدأ توافد الزبائن قبل المباراة بنصف ساعة وخصوصا مما لهم شغف عارم بكرة القدم لحجز مقاعدهم في الصفوف الأولي ، توافد علينا في ذلك اليوم

زبائن من مناطق بعيدة ، لأن المعلم أمرنا ألا نتقاض من الزبائن غير ثمن المشروبات ، فصار المقهى يعج بالناس حتى أصبح المكان أشبه بإستاد صغير ، وراح الجمهور يتابع التحليلات الرياضية التي تسبق المباراة والتي يقوم بها نخبة من الرياضيين الحاليين والسابقين ، مع استعراض كاميرات التلفاز للجماهير المحتشدة داخل الإستاد وهي ترفع الأعلام ، ومن حين لأخر تركز عدسات الكاميرا علي النجوم من أعلام الفن والسياسة والرياضة والموجودين في المقصورة الرئيسية بالإستاد ، ولما بدأت المباراة راحت الحناجر تنطلق بجنون تهتف في كل مشهد، وتلوح بأيديها ، ويزداد حماسها كلما اقتربت الكرة من المرمي ، مع صوت المعلق الأجش الذي يصرخ ملتاعا عند هجوم أي من الفريقين ، كم غيرت وسائل الاتصال الحديثة من هذا العالم ، فقد استطاعت أن تنقل هذه الأحدث من علي بعد آلاف الأميال علي شاشة مثبتة علي حائط ، مرت الدقائق كالدهر ، وأخيرا أطلق الحكم صافرة النهاية ، اجتاحت الناس بهجة عارمة وساد اللغط والضوضاء وارتفع الجدال بين المجتمعين دون هدنة، واستمرت البرامج الحوارية بعد نهاية المباراة تستكمل التحليلات ، تبرر الوسائل ، تنتقد الأداء الرديء للاعب ، وتشيد بمهارة لاعب آخر ، ثم الاتصال باللاعبين الذين يهدون هذا النصر المؤزر للجمهور الحبيب ، وفي هذه الأثناء كنت مشغولا ، أدور علي الزبائن بالطلبات والمشاريب أحمل الصواني ، وأحاسب الجالسين ،كأنني

حيوان ربط في ساقية حقل ، تدور بي بلا هوادة ، وأسأل نفسي ما الذي يجعل مشاعر هؤلاء الناس تتوحد حول اثني عشر لاعب يقطعون المستطيل الأخضر بأقدامهم طيلة الوقت ، رغم كثرة همومهم وانشغالاتهم ، يتحملون قسوة البرد ، أو لهيب شمس الصيف ، علي أمل فوز الفريق بعدة نقاط أو حتى ببطولة في النهاية لن يستفيدوا منها بشيء ، كم سحرت هذه الكرة قلوب الملايين من الناس في مختلف أصقاع الأرض ، كم صنعت هذه الجماهير نجوما صعدوا إلي أعلا مراتب الشهرة والمجد ، يكسبون الملايين من أجل أن يمنحوا الناس نشوة زائفة عند الانتصار ، وفي حالة الهزيمة يقضي الناس ساعات من الحزن سرعان ما تنتهي ، تأتي المباراة تلو المباراة والموقعة تلو الأخرى في سلسلة لا تنتهي من المنافسات والبطولات ، أصبحت هذه الرياضة معشوقة الناس لحد الهوس ، كشخص ادمن تناول الترامادول ليغيب عن واقعه ، وهي في نظري لا تعدو تجارة . لاعبين ، ومدربين ، حكام ، إداريين ، معلقين ، صحفيين ، أطباء إصابات الملاعب كل هذه الفئات تعيش علي هذا الوهم ، تستثمرها الفضائيات من أجل الترويج عن الإعلانات التي تدر عليها أرباح طائلة ، من خلال احتكار شبكات تلفاز معينة حق البث الفضائي للمباريات . راح النوم يراوغ جفوني عندما بدأت خيوط النهار تتسلل من زجاج شباك حجرتي وبدأت عيناي تغفوان ورحت غائبا عن الوعي .

# (٧)

عادت منار من الكلية بعد الساعة الثالثة عصراً بعد يوم حافل بالمحاضرات ، استقبلتها والدتها ، التي كانت تجهز طعام الغذاء ، وضعت منار حقيبتها وكشاكيلها علي مقعد بالصالة ، ثم طلبت منها والدتها إيقاظ شقيقها مدحت الذي عاد من عمله في ساعة مبكرة من الصباح .. دخلت منار حجرة مدحت المستلقي في سريره وبهدوء حاولت إيقاظه .. نادت عليه عدة مرات إلا أنه لم يستيقظ .. اقتربت منه أكثر .. رفعت صوتها وزعقت "يا أبيه" .. أستيقظ بالكاد .. نهض من فراشه ، فداعبته بغبطة قائله :

-صح النوم يا أبيه .. نوم العافية

تمطي بكسل وخمول وتثأب ثم قال :

-صباح الخير يا منمون
-صباح الخير يا أبيه .. ده إحنا بقينا العصر
-ياه .. هي الساعة كام دلوقتي
- الساعة حوالي تلاتة ونص

انتبه ونهض من علي الفراش ثم قال بعد أن لاحظ ارتداءها ملابس الخروج

-هو أنتي كنت فين
-كنت في الكلية .. يا دوب لسه وصلة .. قوم بقة .. علي ما تدخل الحمام يكون الغداء جهز.. ماما زمنها خلصت الغداء

رفع يده بالتحية العسكرية وقال بلهجة مداعبة :

-تحت أمرك يا سيادة اللواء

وبعد خروجه من الحمام جلس علي المائدة ليتناول طعام الغداء مع والدته ومنار فقال لوالدته :

-الله تسلم إيدكي يا ست الكل
-بالهنا والشفه يا حبيبي .. إيه اللي أخرك كده أمبارح في الشغل
-كان عندنا مأمورية مسائية .. يا دوب خلصت شغل وش الصبح

فقالت والدته بنبرة حنان :

-ربنا يستر طريقك وينجيك يا حبيبي

ألتفت إلي منار ثم خاطبها قائلا :

-إيه أخبار سامح يا منار ؟ .. بقاله فترة ما بيتصلش
-بتفكرني ليه يا أبيه بسامح
-ليه فيه حاجة
-أصله أتصل أمبارح وأنت في الشغل وشديت معاه في الكلام
-ليه كده .. أنتي دايما قاسية عليه كده
-مصمم أخرج معاه .. أروح سينما بالعافية .. قلت له تعبانه ومصدعه وعندي مذاكرة .. برضه مصمم علي رأيه
-الله .. هو جه من الغردقة أمتي
-أمبارح .. نزل اجازة أسبوعين
-طيب ما أتصلش بيه ليه ؟
-أتصل عليك .. تليفونك أدله غير متاح .. قام متصل علي المكتب حوالي الساعة تمانية بالليل قالوا له راح مأمورية
-فعلا .. أنا كان عندي شغل .. وإيه أخباره .. لسه مدير الفندق مضايقه
-لا ده بقي كويس معاه خالص .. وقرّيب ها يمسك مدير الحسابات في الفندق

-سامح ولد كويس وأبن حلال وإنسان مهذب وزكي وصبور وفوق ده بتاع شغل .. وإن شاء الله هيكون له مستقبل

-بس ساعات بحس إن دماغه ناشفة.. وما بيسمعش الكلام

فقاطعتها والدتها وعلقت قائله :

-ما تكبريش الموضوع يا ابنتي .. هو عمل إيه لده كله

فردت منار بلهجة مرح :

-أيوه يا ماما .. ما أنتي دايما بدافعي عنه .. كمنه ابن أختك الغالية

يتدخل مدحت بجدية :

-بصراحة سامح يستاهل كل خير .. حاولي تطولي بالك عليه.. ده برضه خطيبيك وابن خالتك وكلها كام شهر ونلمكم في بيت واحد .. ما تبقيش محبكاها كده .. علي العموم أنا هتصل بيه النهارده وهصلح الجو شويا.

رن هاتف مدحت المحمول فأخرجه من جيبه ثم رد عليه .. وبمجرد إنهاء المكلمة تمتم قائلا :

-عن أذنكم أحسن عندي شغل في المديرية .

ينهض علي الفور ثم ارتدى ملابسه بسرعة وتوجه للمديرية

❖ ❖ ❖ ❖

وفي صباح اليوم التالي كانت منار تقف وسط زميلاتها في ساحة الكلية يتحدثن بلهجة يغلب عليها المرح فقالت أماني لمنار:

- وهو يعني يا ست منار لازم تحبكيها قوي مع خطيبك

- أمال عايزاني ادلعه من أولها .. لازم يا حبيبتي يحس من الأول بالعين الحمرة .. أحسن بعد كده معرفش أسوقه زي ما أنا عايزه

فهتفت سلوي مداعبه:

-تسوقيه إيه .. هو عربية

فغمزت أماني بعينها ثم هتفت بلهجة ذات معني

-لا وأنتي الصادقة ده حصان

وبينما تعالت أصوات الضحكات من الفتيات إذ بنرمين تدخل ساحة الكلية بخطي مسرعة تتجه نحو مبني الكلية لحجز مكان في قاعة المحاضرات ، فنادت عليها منار .. التفتت نرمين نحوهن .. اقتربت منهن وقالت :

-إيه يا بنات واقفين كده ليه

فردت سلوي باقتضاب وعلي وجهها ابتسامة مرح :

-مستنين المترو .. أصله تأخر

فقالت نرمين باستفهام :

-المترو .. ؟

فتدخلت أماني وبنفس أسلوب المرح :

- لا وأنتي الصادقة ده مش هيجي خالص النهارده

فقالت نرمين وقد زادت عليها علامات الدهشة :

-هو إيه ده اللي مش هيجي خالص النهارده .. أنا مش فاهمة أنتم بتقولوا إيه

فتدخلت منار بحسم قائله :

-قصدهم علي الدكتور فؤاد يا سيتي أصله مش هيجي النهارده

فردت نرمين :

-يعني أنا خبطت المشوار علي فشوش .. قال وأنا بمد وفكره إني هتأخر علي المحاضرة زي المرة اللي فاتت.

قالت منار باستخفاف :

- أحسن يا شيخه دا أنا بخرج من المحاضرة بتاعته مصدعه .. بيقعد يلف ويدور في الشرح لدرجة إني مبفهمش منه حاجة طول المحاضرة

فسألتها نرمين باهتمام :

- آه بالحق .. عملتي إيه في البحث اللي طلبه

قالت منار :

-ولا حاجة .. بحاول أدور علي مراجع أشتغل منها

فتدخلت أماني وقالت بجدية :

-أنا يا أختي هريح دماغي من الهوسه دي .. اتفقت أنا وسلوي إننا نروح لأي مكتب كمبيوتر من المكاتب اللي جانب الجامعة واشتري البحث جاهز .. لسه هنجيب كتب ومراجع ونقعد نذاكر .. ياستي بلا خوتت دماغ

ثم انصرفت كل من أماني وسلوي وظلت منار مع نرمين فقالت منار:

-بقولك إيه يا نرمين سيبك منهم .. دي بنات مش غاوية تعب .. ماتيجي نشترك أنا وأنتي ونعمل البحث أنتي تجيبي كتب وأنا أجيب كتب ونقعد نعمل البحث ليَّ وليكي
-طيب وهنقعد فين .. أنا معرفش أقعد في الكافيتريا ولا في المكتبة
-ما تيجي عندي في البيت .. أنا بقعد لوحدي مع ماما طول النهار .. أخويا مدحت دايما يا نايم يا عنده شغل .. وإن كان علي مامتك فأنا ها أتصل بيها وأستأذنها .. و أهو تتعرفي علي ماما.
-خلاص ماشي .. بكره إن شاء الله هزوركم

ولما دلفت نرمين للشقة بعد عودتها من الكلية دخلت للمطبخ .. كانت والدتها تجهز طعام الغداء ، ففاجأت والدتها وهي تقف بجوارها فقالت أمها :

-أنتي جايتي يا نرمين !
-سعيدة يا ماما

ثم قبلتها قبلتان خفيفتان علي وجنتيها .. فأجابتها أمها بنبرة فيها دفء وحنان :

-أهلاً يا حبيبتي .. إيه الحكاية .. جيتي بدري النهارده يعني
-أصل كان عندنا محاضرة واحدة بس والدكتور مجاش
-كويس إنك جيتي عشان تساعديني

قالت متهكمة وفي بساطة :

-ليه إن شاء الله .. هو إحنا عندنا عزومه
-إيه يا نرمين .. أنتي نسيتي إن أختك وجوزها معزومين عندنا علي الغدا النهارده

تغيرت ملامح نرمين ثم اردفت في ضجر :

-ياآاه .. دا أنا نسيت نشوى وجوزها الرخم اللي ها يتغدوا عندنا النهارده .. ما شاء الله .. علي قلبه قد كده من الدروس الخصوصية .
-وماله يا بنتي .. أنتي ما بتحبيش الخير لأختك
-أيوه بحبها جداً طبعا .. بس جوزها ده معرفش ما بينزليش من زور ليه .. بخيل ودمه تقيل بشكل .. وكمان رغاي وعامل فيها أبو العَّريف
-طيب بطلي غلبه وطولة لسان .. وياله روحي أقلعي هدومك وتعالي ساعديني
-أمري إلي الله .. مع إني جاية تعبانة من المواصلات .. عن إذنك

ثم خرجت .. وعادت بعد لحظات وقد تذكرت شيءً وقالت لأمها

-آه بالحق بكره الصبح هاروح أذاكر عند منار صاحبتي .. وهيَّ بنفسها هتتصل بيكي عشان تستأذن منك .

-معنديش مانع .. بس لازم تقولي لعمك رفعت
-حاضر من عيني .. ربنا يخليكي يا ست الكل

# (٨)

جلست نرمين علي السفرة تتناول طعام الغداء .. وقد أجتمع كل أفراد الأسرة .. ظلت صامته بعض الوقت .. راحت تتابع الحوار الذي يدور بين رفعت وعادل .. فهما لا يتقابلان كثيراً .. إلا في المناسبات .. عادل شخص متعجرف ، مغرور دائماً ، سريع الانفعال ، طموحه ليس له حدود ولديه ميول مرضية تدفعه لاستعداء الأخرين ، بالإضافة لبخله الشديد رغم دخله الميسور من الدروس الخصوصية ، لذلك فإن نرمين كانت دائماً تنفر منه وتتجنب أي مناقشة معه ، يتشبث برأيه ، يجيد الحوار بحيث إنهُ يستطيع أن يقنع الآخر بوجهة نظره حتي لو لم يكون علي صواب ، أحيانا يكن فضولي مع الآخرين فتجده يفرض نفسه بالقوة ، حاولت نشوي مراراً وتكراراً أن تغير من هذه الطباع ولكن دون جدوي .. تَعرّفَ عليها في حفل زفافٍ إحدى صديقاتها وتقدم لها ، كان زواجهما زواجا تقليدياً " زواج صالونات"

أنجبت منه ابنها الأكبر مازن ست سنوات ولؤي الأصغر أربع سنوات ، دائم الخلاف معها ، فهي لا تتفق معه في معظم الأمور ، لكنها تتحمل تصرفاته لأقصي درجة ، كانت تشكو نرمين من سوء معاملته الفظة لها ، قالت لنرمين ذات يوم : -أنا أتعس زوجه في العالم .. زوجي رجل بلا مشاعر أو أحاسيس .. جثة متحركة بلا وجدان .. العامل المشترك بيننا الأولاد .. يأتي إلي المنزل فقط من أجل الطعام والنوم .. المنزل بالنسبة له مجرد بنسيون أو لوكاندة .. صوته دائما عالي .. يثور لأتفه الأسباب .. تحملت الكثير علي حساب أعصابي .. حياتي كلها تعيسة .. يحتاجني أحيانا ليلقي فضلاته .. مجرد سلة للقمامة .. ثم بعدما يلقي حاجته يرميني بعيداً .. ثم يذهب مباشرة للاغتسال .. منتهي الإهانة .. حتي إنني أصبحت أكره منه هذا الفعل الحيواني الذي يسبب لي آلاماً نفسية شديدة .. يقولون في الأمثال ظل رجل ولا ظل حيطة .. لما يكون رجل بهذه الصفات فإن الحيطة أحسن وأفضل .. لا يهاتفني وهو خارج المنزل إلا للسؤال عن الأكل فقط .. لا يهتم بي إذا أصابني مرض أو تعب .. لا يهمه أن أذهب للطبيب أو المستشفى .. لا يسأل عني فأنا خارج نطاق اهتمامه .. يهتم فقط بالدروس الخصوصية .. يجني منها الكثير من المال ليزيد بها رصيده في البنك ولا يعبأ بطلبات أولاده .. تحملت فوق طاقتي من أجل أولادي الصغار .. وعلي الرغم من معاناتي معه لم أطلب يوما

الانفصال عنه فما أسهل الهدم والتدمير وما أصعب البناء والتعمير.

قال عادل الذي راح يدور بالشوكة علي الأطباق المحيطة به وهو يلوك الطعام المحشور في فمه وكأنه لم يتناول طعام منذ قرن:

-وإيه أخبار المكتب يا أستاذ رفعت

فرد رفعت بلهجة فيها شيء من الجدية قائلا :

-الحمد لله أهي ماشية .. أنت مش ناوي تسيبك من حكاية التدريس دي وتيجي تشتغل معايا في الشركة.
-أصلي أنا خلاص خدت علي شغلانة التدريس .. معرفش أشتغل حاجةٍ غيرها .. وبعدين شغل المقاولات ده متعب جداً وصعب .
-ما فيش حاجة صعبة .. لما تنوي بس أنا تحت أمرك

نظر عادل لنرمين ثم سألها:

-وإيه أخبارك يا نرمين .. عمله إيه في الكلية ؟

ردت نرمين وهي منشغلة بوضع ملعقة طعام مملؤة بالأرز في فم لؤي الجالس إلي جوارها .. بلهجة باردة:

-ماشية .. الحمد لله
-مش محتاجه أي مساعدة .. أنا برضه بعرف أشرح مواد القانون

فقالت نرمين وقد أرغمت نفسها علي عدم التطلع إليه وبلهجة احتقار واضحة :

-شكراً .. لما أحتاج حاجة هبقي أقول لك

تدخلت والأم بنبرة حادة :

-جره إيه يا نرمين .. ما تخلي عندك ذوق شويه .. كلمي جوز أختك حلو

تدخلت نشوة بغيظ مدافعة عن أختها وقالت بنبرة واضحة :

-نرمين ما عملتش حاجة يا ماما .. هو بس اللي دايما يحشر نفسه في كل حاجة .. هو إيه عرفه في القانون .. ( التفتت لعادل بنظرة انتقاد ) ده مدرس رياضيات إعدادي

فردت الأم متبرمة وقالت :

-برضه يا نشوي لازم ترد بأسلوب محترم أحسن من كده .

فقالت نرمين في تملق بارع :

-أنا أسفه .. مقصدش حاجة .. ده أنا بحترم عادل زي أخويا الكبير بالظبط

تدخل رفعت محاولا امتصاص حالة الشد والجذب التي سادت الجالسين :

-خلاص يا جماعة .. محصلش حاجة لده كله ..

# (٩)

في العمارة رقم ٢٣ بشارع ٩ بالمعادي جلست منار في شرفة شقتها الواقعة في الطابق الثالث كانت تتابع حركة الشارع.. ممسكه في يدها كتاب تتصفحه بدون تركيز تقلب صفحاته من حين لآخر .. فقد أتصلت بها نرمين منذ ساعتين وأخبرتها أنها في سبيلها للخروج من المنزل لزيارتها حسب الموعد المتفق عليه بينهما .. وبعد مرور ساعة اتصلت بها منار فأخبرتها نرمين أنها أستقلت المترو وهي في طريقها للمعادي . علي الرغم من أن منار اتصلت بأم نرمين منذ يومين لأستأذنها ووافقت إلا أن نرمين اعتذرت لها بعد أن أعطتها ميعاد يوم أمس فقد كانت مشغولة في الجمعية ولم تفرغ من عملها إلا بعد العصر .. لأنها كانت تجهز لحفل زواج الفتاة اليتيمة والتي تقيمها الدار في إحدى قاعات المناسبات.. ويحضرها عدد من قيادات وزارة الشئون الاجتماعية.. طلبت منها مدام فادية الاتصال بالفتيات وإبلاغهن بميعاد الحفل والحضور لمقر الجمعية للاتفاق علي

باقي تفاصيل الحفل. وبعد طول انتظار ظهرت نرمين قادمة من أول الشارع مسرعة الخطي فلمحتها منار فتهلل وجهها فرحا .. ولما اقتربت من المنزل أشارت لها منار بيدها فلمحتها نرمين من علي بعد .. ثم صعدت للشقة واستقبلتها منار بترحاب . كانت أم منار غير موجودة بالشقة في هذه الأثناء، فقد توجهت منذ الصباح للبنك الأهلي فرع المعادي لسحب بعض النقود من حسابها.. بعدها توجهت للتسوق من أحد المولات التجارية .. ولما دخلت نرمين للشقة رحبت بها منار بحميمية و تبادلا القبلات وأخذتها منار ، حيث هيأت لها مجلساً أعدتهُ لها بالشرفة .. حيث الشمس الساطعة والهواء الطلق ، ولما جلست نرمين قالت لها منار

-اتأخرتي كده ليه .. شغلتيني عليكي
-أصلي صحيت متأخرة

ثم قالت منار وهي واقفه أمامها بابتسامة :

-هقولك إيه بقه .. أجيب فطار الأول
-مرسي جداً .. فطرت قبل ما أنزل
-طيب تشربي شاي ولا أجيب حاجة ساقعة
-خليها شاي .. أمال ماما فين ؟
-ماما خرجت من الصبح .. راحت تشتري شوية حاجات وهتغيب بره .. أصلها ها تسافر إسكندرية

اليومين الجايين تزور نجوي أختي .. جوزها ياستي ها يسافر مؤتمر أسبوع في المانيا .. فطلبت من ماما تيجي تقعد عندها الكام يوم دول عشان متقدرش تسيب إسكندرية بسبب امتحانات العيال

خرجت منار من الشرفة وتوجهت للمطبخ لإعداد الشاي.. وظلت نرمين جالسه في مكانها.. لمحت بعض الكتب موضوعة أمامها علي منضدة صغيرة .. راحت تقلب صفحاتها بقليل من التركيز.

استيقظ مدحت من نومه.. خرج للصالة.. ثم نادي علي منار .. لاحظ جلوس نرمين بالشرفة.. كان رأسها مختفي وراء باب الشرفة فأعتقد بأنها منار .. أقترب من مجلسها ثم قال بصوت مرتفع :

-هو لازم يا منار أقولك ...

ولما أقترب أصابته دهشة عندما فوجئ بنرمين جالسه .. تراجع بضع خطوات للخلف ثم هتف بلهجة رقيقة :

-أسف جدا.. كنت بحسبك منار

فردت نرمين باقتضاب وقد خفضت عينياها بحياء ظاهر :

-لا ما فيش حاجة

فقال مدحت بهدوء :

-حضرتك لازم صاحبتها نرمين.. مش كده
-أيوه ..

ثم رنا إليها بنظرات قوية :

-أهلاً وسهلاً .. دا منارٍ طول الوقت تكلمني عنك يظهر إنها بتحبيك جدا .. دايما سيرتك علي لسانها

فقالت نرمين باقتضاب :

-متشكره أوي .. وأنا كمان بحبها جدا.

ثم جلس مدحت في المقعد المقابل لها وقال :

-ربنا يديم المحبة بينكم علي طول .. وخصوصا بعد ما تتخرجوا وكل واحده منكم تروح في طريق .
-ربنا ما يفرقناش أبدا عن بعض .. ده أنا لو لفيت الدنيا كلها مش حلاقي زي منار .

دخلت منار للشرفة تحمل صينية شاي .. فوجئت بشقيقها جالساً مع نرمين :

-صباح الخير يا أبيه .. متأسفه ملحقتش أحضر لك الحمام

فرد مدحت بلهجة يغلب عليها السرور :

-طبعا يا ستي .. من لقي أحبابه

ثم نهض من مجلسه فقالت منار :

-حالا هجهز لك الحمام

فقال مدحت بنبرة ود :

-لا .. لا.. خليكي مع نرمين .. عن أذنكم .. اسبكم تخدوا راحتكم

ولما أنصرف مدحت جلست منار .. قدمت لنرمين فنجان شاي وقالت :

-أوعي يكون أبيه مدحت قال لك حاجة ضايقتك .. أنتِ عارفه الجماعة الظباط دول دايما واخدين الأمور كلها جد

مدت نرمين يدها .. تناولت فنجان الشاي .. رشفت منه رشفة خفيفة وأردفت بابتسامة رقيقة :

-لا بالعكس دا أخوكي باين عليه لطيف جدا .

ثم استطردت منار في ابتسامة وقالت :

-أخويا مدحت عنده كل حاجة بالدقيقة والثانية .. بيهتم بأدق التفاصيل مهما كانت صغيرة
-ده شيء طبيعي .. دايما الظباط عندهم النظام شيء مقدس .. الوقت عندهم له حساب

مدت منار يدها في الصينية وتناولت فنجان شاي .. رشفت منه رشفة ثم قالت :

-لكن ساعات ليه تصرفات عجيبة وغريبة .. مثلا لو طلب حاجة ومتنفذتش تلاقيه يثور ويتنرفز وتبقي حالته صعبة جدا
-ده نتيجة طبيعية بسبب شغلهم .. ساعات بتكون أعصابهم مشدودة .. بصراحة الله يكون في عونهم .

قالت منار بلهجة يغلب عليها المزاح :

-جره إيه .. هو إنتي أشتغلتي في المباحث قبل كده ولا إيه .. أقولك إيه ياله نذاكر أحسن

مرت ساعة ونصف علي نرمين قامت من خلالها مع منار بكتابة العناصر الرئيسية لموضوع البحث ، رن هاتف نرمين المحمول بداخل حقيبتها ، فأخرجته وحدقت في شاشته برهة لتجد رقم والدتها ففتحته وتحدثت مع والدتها

-أيوه يا ماما .. أنا لسه عند منار .. لسه مخلصناش .. ليه وهو أنتِ خارجه .. لا ما تقلقيش .. منار .. أهي جانبي .. طيب

فقالت نرمين لمنار :

-خدي يا منار .. ماما عايزه تكلمك .

تناولت منار الهاتف من نرمين :

-إزيك يا طنط عامله إيه .. الحمد لله .. ماشي .. إن شاء الله .. من عيني يا طنط .. يوصل إن شاء الله .. ماشي .. ماشي .. مع السلامة

ثم اعطت الهاتف لنرمين .

-أطمني .. حاضر .. مع السلامة يا ماما

أغلقت الهاتف .. ووضعته في حقيبتها .. وقالت لمنار:

-كانت بتكلمني عشان رايحه تزور أختي نشوي .. وهتقعد عندها طول اليوم .. أصل أختي أتخانقت مع جوزها .. شخصية سمجه وغلسه .. واختي علي خلاف معاه باستمرار

-وجوز أختك بيشتغل إيه ؟

-مدرس

فقالت منار بلهجة شبه مرحة :

-تلاقيه شغال منشار

-ده منشار وسكينة وساطور .. لا وأيه بخيل .

ضحكت كلا من نرمين و منار بصوت مرتفع .. كان مدحت في الصالة يستعد للخروج .. سمع أصوات الضحكات فاقترب منهما .. ثم تسأل بتودد :

-خير .. متضحكونا معاكم

فقالت منار :

-بنضحك علي جوز أختها .. أصله بيشتغل مدرس

-وهي مهنة التدريس حاجة تضحك

-مش المهنة يا أبيه .. إحنا بنضحك عليه .. أصله من نوعية المدرسين اللي كل همهم الدروس الخصوصية وبس .

-بس ده ميمنعش إن فيه مدرسين كتير ولاد حلال .. وعلي كفاءة عالية .. وعندهم ضمير

فقالت نرمين باقتضاب :

-اكيد طبعا .. في مدرسين كتير ممتازين

قال مدحت وقد لمعت في عيناه نظرة إعجاب بنرمين :

-عن اذنكم .. عشان عندي شغل في المديرية.. فرصة سعيدة جدا يا أنسه نرمين.. وأتمني إن دي ما تكونش آخر زيارة لينا ..

فأجابت نرمين بارتباك وقد خفضت عينيها في حياء لتتحاشي النظرات الفاحصة المصوبة نحوها :

- متشكرة قوي .. طبعا طبعا .. إن شاء الله

# (١٠)

كان عم مليجي يجلس في أحد أركان المقهى مع كلا من عنبة المكوجي والأسطي سمحان الميكانيكي ، كما هي عادتهم كل يوم .. وكانت عقارب الساعة تقترب من العاشرة مساءً .. فقد غابت أشعة الشمس طوال اليوم لم تظهر منذ الصباح .. كانت السماء ملبدة بالغيوم مُنذرة بتساقط أمطار مع لسعة هواء باردة ، وقبيل المغرب بدأ هطول الأمطار كانت خفيفة في البداية ثم ازدادت غزارتها .. وكان المقهى شبه خالٍ، لم يحضر معظم الرواد بسبب ظروف الطقس فقد فضل معظم الناس البقاء في المنازل للدفء تحت الأغطية الصوفية . نادي عليَّ الأسطي سمحان .. اقتربت منهم .. فطلب مني شيشة وكوبان شاي وينسون لعم مليجي .. ولما تركتهم لإحضار طلباتهم راح عنبة يتحدث عن الأنباء التي كانت تستحوذ علي نشرات الأخبار في كل القنوات الفضائية وهي المظاهرات العارمة التي تجتاح تونس وقال أن الرئيس زين

العابدين ابن علي ألقي أمس خطبة مهمة للشعب في التلفاز تابعها كل الناس فتدخل عم مليجي وقال بامتعاض

-مظاهرات إيه يا عنبة وبتاع إيه اللي أنت بتتكلم عنها .. يا ابني وإحنا مالنا بالكلام ده ..خلينا في حالنا ..إحنا ناقصين وجع دماغ.

ثم لازمته نوبة من السعال المستمر حتي كادت أنفاسه تتوقف من شدتها.. وأخرج منديله المحلاوي من جيبه ومسح به وجهه وبثق فيه .. ثم ابتلع ريقه وأخذ يتنحنح وعينا الأسطي عنبة تلقيان عليه نظرة ثابتة.. فقال له سمحان :

-إيه الكحة دي يا عم مليجي .. ما تشوف لك لها حل

رد عم مليجي وهو يضع المنديل في جيبه وبصوت فيه حشرجة وهو يحاول التقاط انفاسه بصعوبة من صدر ضيق يعلو وينخفض :

-غلبت يا سمحان يا بني ..زهقت من الدكاتره وكتر الأدوية ..ده أنا ما بعرفش أنام طول الليل من الكحة .. صوت الكحة كان جايب ناصية شارع وابور الفرنساوي .. صدري طول الليل بيزيق .. مش عارف أخذ نفسي ..كأني بتنفس من خرم إبره

فقال عنبة بلهجة لا تخلو من إشفاق :

-أنا عندي وصفة جابت مع حماتي نتيجة .. تغلي لبان دكر وتشرب كباية علي الريق كل يوم الصبح .

فرد عم مليجي باستطراد :

-لبان دكر إيه ونتاية إيه .. هو أنا ناقص مرار .. كفاية العيشة مرة لوحدها .. دي حساسية علي الصدر يا عنبة .. ربو يعني .. ودايما بتزيد عندي في الشتاء .. كنت بأخذ بخاخة من التأمين الصحي كانت بتريحني .. بطلوا يصرفوها مع العلاج .. والدكتور قال لي اشتريها من بره .. بدور عليها بقالي فترة قالوا لي إنها بطلت تنزل .. أخذت البديل بتعها لكن مش عامل معايا حاجة .. وبقالي اسبوع تعبان .

احضرت الطلبات .. وضعتها أمامهم .. ناولت الشيشة للأسطي سمحان وسألته عن الأسطي صبحي الذي لم يحضر منذ أمس فقال :

-الأسطي صبحي سافر النهارده الصبح بلده الدلجمون جانب كفر الزيات .. راح يعزي اخته الكبيرة .. ابنها شهاب مات

فقال عنبة للأسطي سمحان :

-شهاب ؟ .. ماش الواد ده عنده تلات سنين .. أنا فاكر الأسطي صبحي قال لي إن أبوه كان فرحان بيه قوي لما اتولد عشان جابه علي خمس بنات .

رد عليه الأسطي سمحان وهو ينفث دخان الشيشة بحسرة وعيناه تشردان :

-سبحان الله ..أبوه هو اللي كان السبب في موته .
-أزاي ..؟

فقال الأسطي سمحان باستطراد :

-أبوه عنده عربية نصف نقل بيحطها في محل عمله جراج في البيت اللي ساكن فيه .. قام الصبح الساعة سبعة عشان يروح الشغل فركب العربية عشان يطلع بيها من الجراج .. الواد ابنه كان بيلعب ومش واخد باله .. قام أبوه رجع بدهره بالعربية علي غفلة وهو مش واخد باله من الواد .. راح دايس عليه بالعجلة الخلفية .. وموته .

فضرب عنبة كف بكف .. ثم استدرك قائلا بأسي وحزن :

-ياه ! .. دي حاجة صعبة قوي .. ابنه الوحيد اللي جابه علي خمس بنات يموته بأيده .. الله يكون في عونه .. ربنا يصبر قلبه .. تلقيه قرب يتجنن

تناول عم مليجي كوب الينسون .. رشف منه رشفة عميقة .. وقال في جزع وبلهجة واعظ :

-لله ما أعطي .. ولله ما أخذ .. إن لله وإنا اليه راجعون .. كل من عليها فان .. هي الدنيا كده متسواش حاجة .

# (١١)

أن تكون مواطناً خليجيا وتمتلك الدينار أو الدرهم أو الريال وتبحث عن فتاة للمتعة تقضي معها عدة شهور عبر ورقة زواج عرفي فهذه مسألة ليست شاقة في القري التابعة لمدينة الحوامدية بمحافظة الجيزة . هذا ما حدث مع "كوثر" عاملة النظافة في جمعية سيدات مصر للتنمية المجتمعة منذ ست سنوات.. فقد توفي والدها وهي صغيرة وتركها مع والدتها وثلاث من أشقائها.. اضطرت لترك المدرسة في الصف الخامس الابتدائي للعمل في أحد المصانع الصغيرة لمساعدة اسرتها.. تزوجت والدتها من أحد أقاربها .. مرت الأيام وبلغت الثامنة عشرة .. وفي يوم أخبرها زوج أمها بأن هناك عريس يريد التقدم لها عن طريقٍ محامي كون ثروة طائلة من عقود الزواج بالأجانب خصوصاً الخليجيين .. كان العريس المتقدم لها شيخ خليجي طاعن في السن يدعي الشيخ أبو عبد الله .. رفضته في البداية .. لكن بسبب شبح الفقر وحاجة الأسرة و إلحاح زوج أمها وافقت علي الزواج .. دفع الشيخ

لزوج أمها مبلغ خمسة آلاف جنيه مهر.. بعد إتمام الزواج قضي معها ثلاث اشهر إلا قليلاً كان يعاملها بقسوة وعنف .. سافر فجأة لبلده في يوم بعد علمه بأنها حامل دون أن تعلم عنه شيءً .. بعد تسعة أشهر انجبت بنتها هاجر.. لم تستطيع توثيق عقد زواجها في السفارة لحفظ حقوقها وإثبات نسب طفلتها .. فقد اكتشفت بأنها تعرضت لعملية نصب كبيرة .. تزوجت شخص وهمي لا وجود له .. ألحقتها مدام فادية بالعمل بالجمعية بعدما حضرت إليها لمساعدتها ماديا .. فطلبت منها المدام العمل معها بالجمعية لاحتياجها لعاملة شابة نشيطة .

كانت نرمين جالسه في مكتبها بالجمعية تراجع بعض الحسابات التي تم صرفها في يوم حفلة زواج الفتاة اليتيمه ، وكانت "كوثر" تقوم بتنظيف وترتيب مكتب مدام فاديه ، ولما انتهت من عملها .. أعطتها نرمين عشرين جنيها وطلبت منها الذهاب لإحضار بعض السندوتشات وزجاجة مياه غازية لتناول الإفطار .. لأنها خرجت منذ الصباح علي عجل ولم تتناول الإفطار كعادتها مع والدتها .. بعد قليل حضر حسام للجمعية فوجد نرمين جالسه علي مكتبها منكبة علي مراجعة الحسابات .. ألقي عليها التحية ثم جلس أمامها وقال لها :

-عامله إيه

-الحمد لله

تلفت حوله وتمتم قائلا :

-أمال ماما مش موجودة ؟
-المدام راحت مشوار .. وقالت هترجع بعد ساعة.. لو عايزها ضروري .. اتصل بيها
-لا .. مالوش لزوم .. أنا قلت أعدي يمكن تعوز حاجة
-أمال فين كوثر .. ما جتش النهارده ولا إيه ؟
-لا .. جات .. بس أنا بعتها تجيب لي سندوتشات
-وفين باقي الناس .. الأستاذ زهدي ودعاء ..
-دعاء مشيت عشان معزومة علي الغداء عند حماتها .. والأستاذ زهدي راح عشان هيودي مراته للدكتور
-كويس ..إن إحنا لوحدنا..عشان كنت عايز أتكلم معاكي في موضوع كده.
-خير إن شاء الله

هرش بيده اليسرى في رأسه بتوتر وقال بنبرة مرتبكة :

-اصل بصراحة أنا متردد إني أفتحك في الموضوع لأنه حساس جداً

ردت نرمين بهدوء وثقة :

-خير إن شاء الله

-في الحقيقة من يوم ما تعرفت عليكي في الجمعية وأنا برتاح لما بقعد معاكي .

صمت مليا.. حاول السيطرة علي اضطرابه.. وكانت نرمين تلمح نظرات الحيرة في عيناه.. ثم استطرد بتلعثم قائلا :

-بصراحة أنا .. معجب بيكي جدا .. ونفسي أطلب ايدك

اعترتها الدهشة ، صبغ وجهها فجأة احمرار، كان وقع الكلمة عليها كالسوط .. فنهضت من مجلسها لتخفي خجلها واضطرابها .. سرعان ما تمالكت نفسها .. ثم نهض من مجلسه .. وتبعها وقال لها بلهجة تودد :

-هو أنا ضايقتك .. ولا إيه
-لا ما ضيقتنيش ولا حاجة .. بس أنت فجأتني
-أفهم من كده إنك ممكن تبادليني نفس الشعور
-في الحقيقة .. مقدرش أجوبك دلوقتي علي حاجة.. لكن اديني فرصه افكر وأرد عليك ..
-تفكري ..هو أنا لسه ها أستني تفكري ..ما أديني قدامك أهو .. وأنتِ شيفاني وعرفاني وبقالنا سنتين مع بعض في مكان واحد ..أكيد أخذتي فكرة عني وعن طبعي ..ولا دي حجة عشان تتهربي مني

صمتت برهة وهي تزدرد ريقها بصعوبة وقالت بنبرة يغلب عليها الجدية والاهتمام:

-لا طبعا أنا مقصودش كده ..بس الأمور دي مش عايزة استعجال
-استعجال ولا دي حجة للمماطلة

فقالت وقد ارتسمت علي شفتها ابتسامة هادئة:

-علي العموم أنا معنديش مانع .. بس المفروض في الحالات اللي زي دي الشاب بيتقدم رسمي لأهل العروسة الأول ومعاه أهله .
-ما أنا كنت ها كلم ماما النهارده عنك .. عشان نروح نزوركم اليومين دول .. بس أنا حبيت أعرف رأيك الأول.

دخلت كوثر فجأة وهي تحمل الطلبات .. وجدت الأثنان يقفان معا فرنت لهما بنظرات فاحصة وقد لاحظت حالة الارتباك التي انتابت الاثنان لحظة دخولها المكتب إلا أنها تظاهرت بعدم الاهتمام ثم هتفت وفي عيناها شبه تودد:

-الله هو أنت جيت يا أستاذ حسام

التفت لها ثم رد عليها قائلا :

-أذيك يا ام هاجر ..
-الحمد لله

ثم أعطت كيس بلاستيك به طلبات لنرمين .. وأعطتها باقي المبلغ

-أتفضلي يا أبلة نرمين .. عايزه حاجة تانية
-شكرا .. يا أم هاجر

تناولت نرمين الكيس .. ثم طلب حسام من كوثر شاي .. فتوجهت كوثر للبوفيه لعمل الشاي .. وجلست نرمين علي مكتبها وفتحت الكيس لتتناول وجبتها وقبل أن تقضم لقمة قدمت له سندوتش فشكرها .. جلس أمامها.. ثم ألقي نظرة حثيثة علي المدخل المؤدي إلي البوفيه .. والتفت لها وقال بصوت منخفض:

-علي فكرة نسيت أقول لك إني عندي شقة تمليك في المقطم مساحتها ٢٥٠ متر ماما كتبتها بأسمى .. متشطبة وجاهزة علي الفرش .. إيه رأيك تجي تشفيها
-علي العموم الكلام ده سابق لأوانه .. مش لما تتقدم رسمي الأول
-ما أنا قلت لك إني هأكلم ماما النهارده عشان نزوركم في خلال اليومين اللي جايين دول علي طول .. ولا أنتِ مش واثقه فيَّ

-وثقة طبعا .. بس ....

فقاطعها وقال لها بلهجة إصرار وحسم :

-بس إيه .. أقولك .. ما تيجي بكره نروح نشوف الشقة وأهو بالمرة تتعرفي عليها وتقولي رأيك إيه في التشطيب بتعها والديكور اللي معمول فيها .. واحنا معانا العربية .. يادوب مسافة السكة تبصي عليها ونرجع علي طول .. هاه قلتي إيه..

صمتت قليلا وفكرت مليا .. تنفست بعمق .. ثم أومأت برأسها وأجابت قائله :

-ماشي
-خلاص بكره أستنيني في ميدان المماليك .. هافوت عليكي بالعربية الساعة اتنين الظهر .. بس أوعي تجيبي سيرة لأي حد.

نهض من مجلسه .. انصرف دون أن ينتظر الشاي الذي كانت تُعده كوثر

# (١٢)

كان مدحت في مكتبه بالمديرية حينما اتصل به سامح يستأذنه للخروج مع منار ، فرحب مدحت بذلك .. وهاتف مدحت منار لإبلاغها برغبة سامح في الخروج معها ..فوافقت بعد إلحاح مدحت عليها .. وتوجه سامح لشقة منار.. واستقبلته خالته ثم جلس معها بعض الوقت حتي أتمت منار ارتداءٍ ثيابها .. ثم توجها إلي كافيتريا علي النيل .. فاختارا مكاناً منعزلاً في أطراف الكافيتريا للجلوس فيه ..كان قرص الشمس الباهت يلوح في الأفق نحو الغروب يرسل أشعته علي صفحة النهر فجعلت مياهه تتلألأ كحبات العقيق الأصفر المنثور ، لافحت وجههما نسمة من هواء باردة ، دار بينهما حديث سادت فيه لغة التفاهم والصراحة وتدفقت فيه مشاعر العاطفة والمودة ، وراح سامح يمسك بورقة وقلم يخطط لها شقة الزوجية و يصف لها أماكن وضع قطع الأثاث وترتيبها داخل الشقة .. وبينما هو منهمك في الشرح ..كانت منار تحدق في وجهه بنظرات مملؤة

بالإعجاب وقد غمرتها غبطة طاغية فتوقف عن الكلام فجأة وصمت برهة .. بادلها نظرة عميقة ثم قال لها :

-إيه بتبصيلي كده ليه .. فيه حاجة مش عجباكي في اللي أنا قلته

-في الحقيقة يا سامح أنا ما كنتش أتصور إن ذوقك عالي بالشكل ده .. وما خبيش عليك أنا في الأول لما أتقدمت لي ما كنتش موافقه لكن تحت ضغط وإلحاح ماما وأبيه مدحت اضطريت أوافق .. بس كل ما أقعد معاك بحس إني كنت قاسية كتير في الحكم عليك .. لأني كل يوم بأكتشف حاجات كتيرة فيك ما كنتش شيفاها

-يظهر إن الفكرة دي هي اللي كنتي وخدها عني من أيام ما كنا صغيرين لما كنتي بتيجي مع خالتي عندنا .. وكنتي بتتخانقي معايا علي طول .. وكنت أنا دايما بأخد منك أي لعبة معاكي

فأومأت برأسها ثم ضحكت وقالت :

-فاكره .. فاكره .. كمان كانت ماما لما بتروح عندكم كانت بتيجي تقول إن الواد سامح ابن أختي ده مدلع علي الأخر

قال سامح باستطراد وقد لاحت علي وجهه ابتسامة :

-فعلاً ده كان زمان قبل ما يموت بابا الله يرحمه ..كنت لسه في أولي جامعة .. فجأة الدنيا أتغيرت وحالنا اتبدل بعد ما كنت كل اللي بحتاجه القيه بسهولة وبدون تعب أو مجهود .. عمري ما كنت أعرف ازاي بيجي القرش .. بعدها قررت أتحمل المسئولية وأعتمد علي نفسي في كل حاجة .. واديني أهو بنيت نفسي بنفسي عشان أكون جدير بيكي .

-بس أنا كنت دايما بسأل نفسي أنت ليه كنت منعزل عن العيلة .. ما كنش حد عارف عنك حاجة .. لا كنت بتزور حد ولا بتحضر حفلات ولا حتي في أي علاقة صداقة بينك وبين أي شاب من شباب العيلة؟

-أصلهم كانوا دايما يبصو لي بنظرات شفقة وإحسان .. وده كان بيسبب لي ألم نفسي.

-وإيه سر تعلقك بمدحت ؟.. بحس إنك بتحترمه قوي لدرجة إنك بتسمع أي كلمة يقولها بدون أي تفكير.

-لأن مدحت بعتبره مثلي الأعلى لأنه مرَّ تقريبا بنفس ظروفي .. طول عمره عارف قيمة المسئولية ومعني النظام والانضباط والاعتماد علي النفس .. عشان كده بقة ظابط شرطة ناجح .. ومن خبرته وتجاربه الكتيرة كنت بستفِيد منه .. لأنه كان دايما يوجهني ويَعرفني أزاي أتصرف في أي مشكلة تواجهني .. كل ده وبدون ما حد يعرف عشان ما يجرحش مشاعري

.. وده اللي شجعني إني اتقدم ليكي ولما فاتحته في الموضوع رحب بيّ علي طول

-تصور هو اللي أصر إني أخرج معاك النهارده.

-وإيه الغريبة في ده .. ما أنا اللي طلبت منه كده

-المفروض إننا لسه مخطوبين وإنه يخاف عليَّ إذا خرجت معاك لوحدي

- لأنه عارف أني بحبك حب حقيقي .. واللي بيحب أنسان بجد عمره ما يفكر أبداً إنه يؤذيه.. بالعكس يخاف عليه من النسمة لو لمسته

أسندت خدها الأيمن بقبضة يدها وهي تضع مرفقها علي الترابيزة .. وقد انبسطت اسارير وجهها .. وأغمضت عينيها و فتحتهما ثم تنهدت بعمق وقالت :

-عيني يا عيني إيه الرومانسية دي كلها .. دا انت ناقص تقول شعر .. ماشي يا عم سامح

وطلبت منه النهوض حتي لا تتأخر عن مذاكرتها .. فوافق علي الفور وعادا إلي المنزل .

كان مدحت لا يزال جالسا في مكتبه بالمديرية ، عندما تلقي أتصالا هاتفيا من زميله "الرائد صلاح أمين" يدعوه لحضور حفل زفافه يوم الخميس القادم بنادي الشرطة :

- كده .. ألف مبروك يا سيدي .. أخيراً وقعت .. طبعاً طبعاً ها جي إن شاء الله .. أنت عارف يا أبو صلاح معذتك عندي قد إيه .. ما أقدرش أتأخر عنك .. ماشي يا كابتن .. مع السلامة وربنا يتمم بخير.

وبمجرد أن وضع سماعة الهاتف دخل عليه المخبر "ماهر شافعي" وقدم له التحية .. فألتفت له مدحت وهتف قائلا :

- أهلا يا ماهر .. هاه عندك أخبار حلوة
- أيوه يا باشا .. أنا جبت لحضرتك كل المعلومات اللي طلبتها
- يبقي عرفت حاجة عن الشبكة بتاعت النزهة
- طبعاً .. طبعاً .. مركز التجميل اللي تحت العمارة هو مقر الشبكة وصاحبته ست أسمها مدام أميرة حلمي عمرها ٣٧ سنة ومطلقة وعندها شقة في نفس العمارة بتشتغل فيها .. وهي تقريبا اللي بتصطاد البنات وبتختارهم بالذات من بنات الجامعة .. بتشغل حوالي تمن بنات معاها .
- وبيشتغلوا أزاي ؟

- ساعات تبعتهم للزبائن في أماكنهم .. وساعات بتجيب الزباين في شقة العمارة .
- والشقة دي بتاعتها ؟
- لا يا باشا .. دي بتاعت موظف كبير كان وكيل وزارة سابق وبعدين طلع علي معاش .
- مي أجرها منه ؟
- لا .. ده بيأخد منها نسبة من الإيراد .

ثم استطرد والابتسامة تتسلل إلي غضون وجهه وقال :

- لا جامد قوي يا واد يا ماهر .. أنا قلت برضه مافيش غيرك تعرف تجيب الأخبار دي وخصوصا إن المنطقة دي بتعرف تسلك فيها قوي .
- أنا خدام جنابك يا باشا .. أنت بس شاور وأنا تحت أمر سعادتك
- عشت يا ماهر .. اتفضل

وأنصرف ماهر من المكتب.. ثم أتصل مدحت بمكتب اللواء عماد راشد لاطلاعه علي هذه المعلومات وأخبره بأنه تم التعرف علي تفاصيل الشبكة بنسبة ٩٥٪ ، فشدد عليه اللواء عماد بضرورة الإسراع في إنهاء هذه العملية في أقرب وقت ممكن لوجود تعليمات سرية مشددة برفع حالة الاستعداد القصوى بجميع مديريات الأمن علي مستوي

الجمهورية في الأيام القادمة بسبب تحذيرات لاحتجاجات في الشارع الأيام القادمة ، فهناك العديد من الحركات الاحتجاجية وجهت دعوات عديدة عبر مواقع التواصل الاجتماعي للخروج للتظاهر يوم عيد الشرطة.

# (١٣)

لم تكن نرمين تعلم ما سوف يخفى لها قدرها في ذلك اليوم ، فقد حضرت للجمعية في الحادية عشرة صباحاً ، ثم انهت بعض الأعمال بسرعة وتركت الجمعية عند الثانية بعد الظهر ، ذهبت لميدان المماليك حسب الموعد المتفق عليه مع حسام ، ولما وصلت للميدان كان حسام يقف بسيارته في انتظارها .. اصطحبها معه إلي حيث شقته بالمقطم ، وظل طيلة الطريق يوهمها بأنه قد أخبر والدته أمس برغبته في الزواج وأن والدته رحبت بشدة ، وكانت مغتبطة عند سماعها لهذا الخبر وصور لها مدي ابتهاجه الجارف لقبولها الارتباط به وأنه سوف يكرس حياته من أجل إسعادها ، وأخبرها بأنه يحبها منذ أول يوم تعرف عليها وكان يحلم باليوم الذي يجمعهما سقف واحد ، رجت هذه الكلمات كيانها وهزت مشاعرها بعنف ، فقد استطاع أن يستولي علي قلبها بخفة يد ، اعتراها إحساس وكأنها تحلق بأجنحتها في فضاء لا نهائي .. ووصلا للشقة في الثالثة والنصف ولما وقفت أمام باب الشقة كانت مضطربة وقلقة .. فمد يده وامسك بكفها بحميمية وقال لها برقة :

-أتفضلي يا حبيبتي .. إيه مالك .. إنتِ خايفة ولا إيه .. دي شقتك

سحبت يدها من يده برفق ثم ردتْ عليه بصوت مضطرب وبلهجة توسل :

-لا .. ما فيش حاجة .. بس أرجوك خمس دقائق نتفرج عليها و نمشي علي طول

وأخرج مفاتيح من جيبه ووضعها في باب الشقة وأدارها .. هز رأسه في هدوء وغمغم قائلا :

-أه طبعا .. علي طول .. أتفضلي .. أتفضلي

ثم بدأت تتجول داخل الشقة ، تشاهد صالتها وحجراتها ومطبخها الفسيح وحمامها الأنيق ثم وضع يده علي مقبض باب غرفة كان موصداً .. وفتحه.. وإذ بها تفاجأ أن الحجرة بها سرير وبعض قطع الأثاث البسيطة فتسألت بريبة :

-الله .. وهو أنت بتنام هنا ؟ .. مش انت كنت بتقول الشقة ما في هاش فرش !

فأبتسم حسام .. وعيناه تلمعان في مكر وقال لها :

-ساعات باجي أريح شويه لما اكون مجهد وبعدين الحاجات دي طبعا ها تنشال الأسبوع الجاي يا حبيبتي

ومد يده وأمسك بكفها الأيمن في محاولة لدفعها نحوه لإدخالها الغرفة عنوة قائلا لها :

- تعالي .. تعالي

ثم فوجئت به يهجم عليها بشكل مباغت كثور هائج يحاول افتراسها وهي تحاول أن تفلت من قبضة يده

-ارجوك سبني .. سبني لو سمحت

ولكنها لم تفلح في صد هذه الغريزة الجامحة التي اجتاحتهُ فجأة دون هوادة وقبض بكفيه علي خديها وأمطر شفتيها بوابل من القبلات النهمة كأنه يلتهمها.. حاولت بكل قوتها الفكاك من قبضته المحكمة عليها.. لكنها لم تستطع.. كانت نبضات قلبها تتسارع بصوت مرتفع وبشدة ، وسرت في جسدها دغدغة جعلتها تستسلم ، وهي تتوسل إليه أن يتركها ، لكنهُ لم يرحمها ، وزاد من إحكام السيطرة عليها ، ثم عاجلها واندفع بتهور وحماقة يمارس رجولته الدنيئة، وراحت الأنفاس المرتعشة تتسارع وتحول جسده كرمح جامح أنطلق من قوس متجها لهدفه لا يلوي علي شيء ،

ولم تشعر بنفسها إلا بعد أن هدأ وهج الجمرات المشتعلة في جسده ، وقد ودعت إلي الأبد عالم العذارى ، واضحت في عالم آخر ، سرق منها في طرفة عين أغلي ما كانت تمتلك ، كذئب ظل يتربص بفريسته حتي أقتنصها علي حين غرة ، نهض من فوقها وعدل هندامه ، نهضت وهي تحاول ان تتمالك نفسها ، غير مصدقه ما حدث، ارتدت سروالها المخلوع وأكملت ارتداء ثيابها.. وطلبت منه العودة علي الفور ، وأخبرها بأن تنتظر منه مكالمة غداً ليعلمها بميعاد حضوره مع والدته لطلب يدها من أسرتها ، وطلب منها أن لا تخبر أحدا حتي ميعاد المكالمة ، لتكون مفاجأة سارة لهم . ظلت نرمين تنتظر مكالمة حسام التي وعدها بها وكانت عالقة في فضاء الحيرة ، علي أمل أن يفاجئها بخبر سار ، لكنها شعرت بأنها سلمت نفسها بسهولة لهذا الأحمق المتهور الذي عبث بقلبها ثم مزقه إرباً وألقاه في قعر بئر سحيق ، كم كانت ساذجة عندما سمحت لهذا المخلوق الأرعن أن يسرق كرامتها في لحظة طيش ويسلبها عفتها ، ووجدت نفسها بين نارين هل تنتظر هذا الوغد حتي يفي بوعده الذي وعدها به ، أو تتصل بأمه لتخبرها بما فعله طفلها المدلل . أخذ القلق ينشب بأظافره في صدرها. كانت تجلس في الجمعية تبدو شاردة واجمة.. حتي لاحظت دعاء ما هي عليه .. فسألتها عن حالتها فأجابت بأنها علي ما يرام .. فمنذ مقابلته لها لم يحضر للجمعية.. حاولت عدة مرات الاتصال به إلا أن هاتفه كان مغلق باستمرار.. سألت كوثر

عنه ذات مرة فأخبرتها بأنها لا تعلم عنه شيء.. فقد أختفي.. وبعد أسبوع وأثناء جلوسها في المكتب مع دعاء أقبلت عليهما كوثر وعلي وجهها كآبة ، اقتربت منهما بهدوء وكأنها تحمل سرا ، قالت إن مباحث الآداب القت القبض علي حسام فجر أول أمس في إحدى الشقق المشبوهة بمنطقة النزهة بمصر الجديدة وهو في حالة تلبس مع إحدى الساقطات .. أصابتها صدمة عنيفة فلم تصدق ما سمعت كأنها هوت إلي عمق في فجوة مظلمة.. ولكن دعاء أكدت لها صحة علمها بهذا الخبر وقالت لها أن مدام فادية حضرت للجمعية مساء أمس وكانت في غاية الانفعال والتوتر واتصلت بالأستاذ "عبد السلام عوني" المحامي الخاص بالجمعية للذهاب لحضور التحقيق مع حسام في مقر النيابة . كان وقع هذه الكلمات عليها كخنجر غرس في صدرها عنوة. ظلت تحدق بعينيها في كوثر، صامته زاهلة ولم تنبس بكلمة .. حاولت السيطرة علي نفسها كي تبدو متماسكة أمامهما .. شعرت بصداع فجأة يشق رأسها نصفين .. وبعد ربع ساعة تركت المكتب فلم تستطيع الجلوس في الجمعية .

بعد مرور أسبوعين علي اللقاء الذي جمع بين نرمين وحسام بشقته بالمقطم ، فجأتها دورتها الشهرية بغزارة أكثر

من المعتاد لها ، كانت مثقله بالذنب كأنها في كابوس تحاول الاستيقاظ منه ، وراحت تفكر في أمر حسام وما حدث منه ، وأضمرت جراحها في صدرها ، ولم تخبر أحداً ، حتي ولدتها لم تتمكن من معرفة سبب اضطرابها وحزنها ، فحاولت أن تسألها عن سبب شرودها ،وسبب شهيتها التي انعدمت ، وفي النهاية اضطرت للكلام ،وقالت بيأس أنها مقبلة علي امتحانات نصف العام وأن سبب قلقها يعود إلي ذلك .. لكن والدتها لم تقتنع بهذا السبب وأدركت بعاطفة الأمومة بأن هناك أمراً ما آخر غير من حالتها وجعلها بهذه الهيئة ، فهي تعرف طبيعة شخصية ابنتها .. فحالة الكآبة والحيرة التي سيطرت عليها منذ أسبوع كانت مختلفة عن ذي قبل . وكانت تحبس نفسها داخل حجرتها بالساعات لا تخرج إلا لقضاء حاجتها ،وأغلقت هاتفها المحمول، فقد بلغ الحزن مدي لم تبلغه من قبل ، وانقطعت عن الذهاب للكلية ، وتلاشت نضارة وجهها وأضحي أكثر ذبولاً ، وفارق جفونها النوم ، كان السهد يطاردها ليل نهار ، شعرت بأن الظلمات تتكاثف علي نفسها كما تتكاثف الغيوم في كبد السماء فتجعلها مظلمة . وبينما كانت نرمين مضطجعة في فراشها منهكة القوي فجأة .. انتبهت علي صوت طرقات علي الباب .. كانت ولدتها تنادي عليها لتخبرها بأن منار زميلتها تتصل بها علي هاتف المنزل .. نهضت من فراشها بملل ويأس وتوجهت إلي الباب وفتحته وتوجهت إلي الصالة ثم تحدثت مع منار :

-الوه .. أيوه يا منار .. ازيك
-إيه يا بنتي .. قفله موبيلك ليه! .. إيه مالك! .. شغلتينا عليكي .. بقالك أسبوعين ما بدجيش الكلية

ردت نرمين بلهجة مقتضبة فاترة وحزينة وقالت :

-لا ما فيش حاجة.. بس تعبانة شويه .

قالت منار وبلهجة يغلب عليها المزاح :

-هو أنتِ جيه تدلعي قرب الامتحانات .
-لا مش بدلع ولا حاجة .. بس اليومين اللي فاتوا كان عندي دور برد شديد جدا خلاني نايمة في السرير ليل نهار .
-الف سلامة عليكي يا مرمر يا حبيبتي .. ما تنسيش إن بكره إن شاء الله بداية امتحانات الترم وفيه بكرة علينا مادة قانون تجاري .
-ماشي .. بكره إن شاء الله نتقابل في الكلية .. يلي مع السلامة .

وفي الصباح لما كنتُ جالسا مع زميلي كريم بالكلية نتصفح بعض الأوراق نُحاول مراجعة بعضاً من مادة القانون

التجاري قبل الدخول للجنة الامتحان ، فقد اتصل كريم بي أمس واخبرني بميعاد الامتحان ، وإذ بنرمين تمر من أمامي فلاحظت أنها حزينة شريدة اللب .. يعلو وجهها الاصفرار والشحوب .. نهضتُ من مجلسي علي الفور .. ثم تقدمتُ نحوها بخطوات سريعة وناديت عليها :

-نرمين .. نرمين

ألتفتت نحوي ثم ردت باقتضاب :

-أزيك يا أيمن

ثم قلت لها بخجل وارتباك :

-سألت عليكي منار من شويه قالت لي إنك عيانه .. الف سلامة عليكي .

فردت عليا بصوت بارد وحزين :

-الله يسلمك يا أيمن ..

اعطيتها كشكولها الذي استلفته منها منذ أسبوعين وقد وضعت به رسالتي التي كتبتها لها بكل نبضات فؤادي .. كم وددتُ أن تقرأها.. فتبدد حيرتي وعذابي ويهدأ لهيب قلبي المشتعل .. علي الرغم أنني كنت مدركاً صعوبة ذلك ..

أخذت مني الكشكول ثم شكرتني و اتجهت إلي لجنة الامتحان

❖ ❖ ❖ ❖

كانت آثار الهم والحزن بادية علي نرمين حينما خرجت من لجنة الامتحان .. اتصلت بها دعاء أثناء ركوبها الميني باص وهي في طريق عودتها للمنزل . منذ أيام كانت تحاول الاتصال بها لكن هاتف نرمين المغلق حال دون ذلك . سألتها دعاء عن سبب انقطاعها عن الذهاب للجمعية فأخبرتها نرمين بأنها مشغولة بالمذاكرة والامتحانات . ثم ألقت دعاء خبراً هبط علي نرمين كالصاعقة لم تكن تتوقعه علي الاطلاق ضاعف من جرحها وزاده عمقاً عندما قالت لها دعاء :

-شوفتي اللي حصل في الجمعية .
-خير .
-من أسبوع حصلت خناقة جامدة بين المدام وبين كوثر ووصلت إن المدام طردتها من المكتب خالص
-ليه كده .. هي عملت إيه ..
-كوثر قالت إن ابنها حسام كان وعدها بالجواز وقال إيه كانت بتروح معاه شقة معرفش في المقطم .. المهم كانت فضيحة كبيرة في الجمعية قامت المدام طردتها

خالص من الجمعية .. وخصوصا إن ابنها لسه محبوس في القضية إيها .

صفعت نرمين بأناملها علي فمها وقد اعترتها دهشة عارمة وانكمشت قسمات وجهها من هول الخبر.. ثم قالت :

-يا خبر أسود .. معقولة
-والله زي ما بقولك كده .. المهم المدام سألت عليكي .. وكانت عايزة تتصل بيكي بس الموضوع بتاع ابنها شاغلها خالص .. إن شاء الله ها تيجي لما تخلصي امتحانات
-مش عارفة .. يمكن ماقدرش أجي تاني للجمعية ..
-ليه كده
-أصلي قررت أهتم بالدراسة الكام شهر اللي جايين .

ثم أنهت نرمين مكالمتها بعجلة قبل أن تنهار من فداحة الصدمة ، فقد أيقنت بأنها كانت تعيش في أكبر وهم صادفته في عمرها ، فقد خدعها شيطان بملامح بشرية. بدأت تشعر بالمهانة والانكسار تدب في أوصالها يوما بعد يوم ، مهانة تسري في جوف قلب مهشم ألقي في صحراء قاحلة ليس بها أحدا علي الاطلاق .

# (١٤)

وصل مدحت لقاعة المناسبات بنادي الشرطة لحضور حفل زفاف زميله "الرائد صلاح أمين" واصطحب معه شقيقته منار والتي اصرت علي حضور الحفل ، وبمجرد وصولهما للقاعة توجها إلي حيث مجلس العروسين وقدم لهما التهاني ثم توجه مدحت ومنار لأحدي الموائد لمتابعة باقي فقرات الحفل وسط أنغام الموسيقي الصاخبة المرحة .. استمر جلوسهما ساعتان ثم استأذن مدحت وصافح العروسان وانصرف هو وشقيقته عائدين للمنزل ودار بينهما حوار داخل سيارة مدحت أثناء عودتهما للمنزل فقالت منار :

- عقبال فرحك يا أبية .. ياله بقة شد حيلك عايزه أطمأن عليك قبل ما أمشي .. لا بجد أنتِ مستني إيه .. كل زميالك أتجوزوا
- وهيه فين بس العروسة
- العروسة موجودة وقدام عينك بس أنت أرضي عليها

فقال بلهجة استفهام وبهدوء :

- مش فاهم .. قصدك مين ؟
- هو فيه غيرها .. نرمين .. نرمين يا أبيه .. ولا مش عجباك
- لا بالعكس دي بنت مؤدبة جدا وبنت ناس .. بس هي رأيها فيه إيه .. بالحق هي بطلت تجي تذاكر معاكي ليه ؟
- مش عارفه اليومين دول مالها .. حالتها متغيرة .. وكانت غايبة عن الكلية الأسبوعين اللي فاتوا ويادوب ظهرت أمبارح في الامتحان .. كان شكلها مهموم .. وكانت دبلانه وخسه .. قالت لي في التليفون إنه كان عندها برد .. علي العموم أنا ممكن أفاتحها في الموضوع لو أنت عايزها

رد عليها وقد ارتسمت علي وجهه ابتسامة خفيفة.. وبدأ الرضا يشع في نفسه :

- ماشي .. موافق

فهزت رأسها في ابتسامة فرحة وقالت بحماس :

- أوكيه .. أيوه كده يا أبيه .. خلينا نفرح بيك بقة

❖ ❖ ❖ ❖

وصلت منار للكلية صباح يوم الأحد وأخذت تبحث عن نرمين قبيل دخول امتحان مادة القانون المدني ولما سألت عليها سلوي أخبرتها أن نرمين في الكافيتريا فتوجهت إليها علي الفور قبل اقتراب موعد الامتحان ، جلست في مقعد مقابل لها وقالت :

- صباح الخير يا مرمر .. عمله إيه دلوقتي

ردت نرمين بلهجة إحباط وانكسار مكبوت :

- الحمد لله
- عماله بدور عليكي من الصبح وبعدين سلوي قالت لي إنك هنا .. عايزاكي في موضوع مهم جدا

فقالت نرمين وقد ابتسمت لها بابتسامة شبه حزينة :

- خير إن شاء الله
- في واحد قاصدني أفاتحك في موضوع كده .. عايز يأخد رأيك فيه

فقالت نرمين وقد تبدلت قسمات وجهها وبنبرة صوت واضحة :

- رأيي أنا.. أشمعنا !
- لأن رأيك مهم جداً .. بصي يا ستي بصراحه كده ومن غير لف ولا دوران أخويا مدحت عايز يتقدم لك

وقد اكتسي وجهها ملامح مغايرة :

- إيه مدحت ..

ارتسمت علي وجه منار فرحة غامرة وتمتمت قائله :

- مفاجأةٍ طبعاً..
- أه طبعاً
- أمبارح طلب مني إني أفاتحك في الموضوع

ردت عليها نرمين بنبرة المغلوبة علي امرها وقالت :

- في الحقيقة يا منار أخوكي مدحت أي بنت تتمناه .. وأنا نَفسي باحترمه جدا وبقدره وكنت أتمني في يوم من الأيام يكون ليّه أخ زيه .. لكن طلبكِ ده جيه في وقت غير مناسب

وقد تحول السرور في عينيها إلي دهشة فاستطردت قائله :

- وقت غير مناسب أزاي يعني ؟ .. أفهم من كده إنك مش موافقة .. ده أنا كنت فاكره غير كده .. وخصوصا لما كنت بشوف نظراتكم لبعض وأحنا قاعدين بنذاكر في البلكونة
- أنا ما قلتش إني رافضه .. بس لازم قبل ما يتقدم ليَّ يعرف كل حاجة عني .

وقد ازدادت علامات الدهشة علي وجه منار وقالت في حيرة :

- أنا مش فاهمه حاجه .. كلامك ده معناه إيه
- في حاجات مدحت ميعرفهاش عني وقبل ما يفكر يتقدم ليَّ لازم يعرفها
- علي العموم أنا هقول له الكلام ده .. ولو إني مش فاهمه أي حاجة

ولما عادت منار للمنزل قابلت مدحت وأخبرته بما دار بينها وبين نرمين فطلب منها رقم هاتف نرمين وحاول عدة مرات الاتصال بها إلا أن هاتفها كان مغلقا بشكل مستمر ، فقامت منار بالاتصال بنرمين علي هاتف المنزل وطلبت منها فتح تليفونها للأهمية وبالفعل قام مدحت بالاتصال بنرمين وطلب منها مقابلته في ميدان الجامعة فأخبرته بأنها سوف تذهب للكلية بعد يومين لأداء امتحان مادة القانون المدني .

# (١٥)

خرجت نرمين من الجامعة بعد أداء امتحان مادة القانون المدني تصحبها منار وكان مدحت ينتظرها في سيارته بالقرب من سور حديقة الأورمان ولما اقتربت كل من منار ونرمين من السيارة خرج مدحت علي الفور للترحيب بنرمين ومد يده لمصفحاتها فمدت يدها علي استحياء ثم سحبتها بسرعة وقد رنت له بنظرة خاطفة . طلب منها ركوب السيارة مع منار فرفضت. لاحظ مدحت علي وجه نرمين الخجل الاضطراب ،فوجد نفسه مرغماً لأن يخرجها من هذا الموقف ،فطلب من منار أن تذهب لشراء بعض الطلبات للمنزل من ميدان الجيزة ..فأيقنت منار مرام أخيها من أنهُ يريد أن ينفرد بنرمين فانصرفت علي أن تعود بعد نصف ساعة فجلس مدحت ونرمين بالسيارة وقال لنرمين بثقة :

- أنا لما منار قالت لي إن في حاجات لازم أعرفها عنك قبل ما أتقدم ليكي استغربت قوي وخصوصاً إن

أنتِ ومنار أكثر من أخوات ولو فيه حاجة كان ممكن تقوليها لمنار بدون خجل .. عشان كده أنا لاحظت أنك مكسوفة تتكلمي قدام منار فوزعتها عشان تخدي رحتك من غير كسوف وتفتحي لي قلبك .

خفضت نرمين عيناها في حياء ظاهر وهي علي ما بها من حزن وقهر وكان يلوح في وجهها التردد وهي تحاول الإفصاح عن شيء يصعب الإفصاح عنه وقالت :

- في حاجات من المستحيل أي حد يعرفها مهما كان .
- أنتِ شوقتيني قوي إني أسمع اللي هتقوليه ليَّ .. خير إيه هي الحاجات دي .. كلي آذان صاغية .. إتفضليي أنا تحت أمرك
- في الحقيقة أنا فكرت كتير قبل ما أكلمك ولحد اللحظة دي أنا مترددة إني أفاتحك في الموضوع ده .. لكن بسبب طلبك للارتباط بيَّ كان لازم تعرفها .
- مهما يكون الشيء ده اللي محيرك برضه مش هغير رأيي فيكي .. وعلي العموم كل شيء في الدنيا يهون مهما يكون .. والأنسان يقدر لو عنده إرادة حقيقية وعزيمة يتخطى كل الصعاب ويتغلب عليها.

فردت عليه وقد كسي وجهها استغراب

- أنت متأكد .. أي عقبة مهما تكون !

- أكيد طبعاً ..
- حتي لو قلت لك إني مش بنت.

فضحك في ارتباك وقال بشبه استغراب :

- إيه .. مش بنت !.. معناه إيه الكلام ده ؟
- أنا مش بكر ..

فجأة تغيرت ملامح وجه مدحت فقد هزته الدهشة وتلاشت الابتسامة من وجهه وتجهم ولم يحول وجهه صوب نرمين وظل يحدج ببصر شارد للشارع وكأنه يحدق في الأفق البعيد.. فقد باغتته الكلمات .. لأول مرة يعجز تفكيره علي إدراك ما سمعه .. ثم التفت إليها بعد لحظات من الصمت وقد تقلصت قسمات وجهه وسألها بلهجة لا تخلو من سئم :

- هو أنتِ كنتي متجوزة قبل كده ؟

فقالت نرمين وقد خفضت عينيها في حزن وحسرة :

- أنا متجوزتش قبل كده .

فقال لها وقد زادت الصدمة من انفعاله :

- معناه إيه إنك متجوزتيش قبل كده ؟.. وإنتي مش بكر .. معقولة ! .. آخر حاجة كنت اتخيلها .. مش ممكن أنا أكيد بحلم حلم مزعج .. وأزاي حصلت المصيبة دي .

فردت عليه وقد انحدرت من عيناها دمعه وبلهجة يأس وندم :

- لحظة ضعف استسلمت فيها لشيطان متهور .. قال لي إنه بيحبني .. لعب بيَّ وكدب عليَّ ووعدني بالجواز ..كنت ساذجة واطمأنيت ليه ومشيت معاه بحسن نيه واعتقدت إن حبه ليَّ حقيقي .. أتريهِ كان بيخدعني وينصب ليَّ شباكه عشان ينول غرضه مني .. وفي لحظة خطف مني أعز حاجة عندي .. ولما حقق مراده رماني .. الكلب .. المجرم.

فالتفت لها وهو يضمر حنقه وامتعاضه وابتسم ابتسامة ساخرة وقال :

- سبحان الله .. واللي يشوفك يفتكرك شريفة عفيفة عمر النسيم ما لمسك .. قطة خجولة تنكسف لما حد يسلم عليها .. هه يا سلام .. لكن ياما الوشوش ما بتداري .. صحيح ياما تحت السواهي دواهي .

ثم استدرك قائلا لها باشمئزاز واضح :

- وإيه والمطلوب مني يا ست هانم ؟

صمتت قليلا وفي استحياء خفضت عيناها.. خيم علي نفسها كدر خانق.. ثم اجهشت بالبكاء .. فتحت حقيبتها وأخرجت منها منديل ورقي ومسحت به دموعها الهابطة علي خديها وقالت وهي تحاول أن تتمالك نفسها بلهجة واضحة :

- مش مطلوب منك حاجة .. أنا حبيت بس أعترف لك بالسر ده وانت اللي طلبت تسمع مني .. وأنا مخدعتكش وموعدتكش بأي حاجة بالعكس أنا اعترفت ليك بالسر ده اللي محدش يعرفه غيرك .. وخصوصا إنك اخو أعز إنسانه عندي .. ولما انت طلبت مني الجواز ..

أشتد اشمئزازه وحنقه ثم قال لها بلهجة احتقار :

- اتجوزك أنتِ .. أنتِ ناسية أنا مين وشغلتي إيه .. أنا شغلتي أني أقبض علي البنات الساقطات اللي زيك .. ولا أنتِ فاكره إنك هتضحكي عليَّ بالأسطوانة المشروخة بتاعتك دي .. زمان اللي كانت بتعمل زيك كده كانوا أهلها بيخلصوا عليها .

وبدون تردد فتح لها باب السيارة بعنف وقال لها بغضب كاسح :

- أتفضلي .. ولو سمحتي أنسي كل اللي أنا قلته ليكي .. وياريت ما تتصليش بمنار بعد كده .. ولو عرفت إن منار كلمتك أو أتصلت بيكي هيكون ليَّ معاها حساب عسير جدا .. أتفضلي ياله مع السلامة يا ماما.

فنزلت علي الفور من السيارة ثم أغلق الباب بعنف وأنطلق مسرعا ناحية ميدان الجيزة ، وهو يوشك أن ينفجر غيظا ، لم يكن يتصور أن يأتي عليه يوم يقف مثل هذا الموقف مع هذه الفتاة التي تسللت إلي قلبه ، كيف كانت تبدو له ، فتاة ذات حس مرهف ، ومشاعر رقيقة ، وإذ يجدها فتاة ضائعة ، في غاية الهشاشة ، بقايا من ركام متهاوي ، غارقة في مستنقع موحل .. أتصل بمنار وهو في طريقه فقابلها أمام بوابة كلية الزراعة بشارع الجامعة وعادا للمنزل، ظل طوال الطريق صامتا لم ينبس بكلمة واحدة .. ولما حاولت منار معرفة ما حدث مع نرمين طلب منها بأن لا تتحدث في هذا الموضوع مرة أخري .

سارت نرمين وهي لا تدري الي أي طريق تسير لا تعرف غايتها، كانت تحملها قدماها لكنها كانت تترنح ، هائمة علي وجهها، تشعر بيأس عميق ، لأنها قدمت نفسها للمرة الثانية ، ولكنها ندمت علي هذا الفعل ، فقد كان وقع كلمات مدحت لها بمثابة الصفعة الثانية بعد الصفعة الأولي لحسام ، ولكنها كانت قوية هزتها هزة عنيفة ، فحسام خدعها وغدر بها ،أما مدحت فخذلها وتخلي عنها وعاملها بفظاظة ، لم تأخذه بها رأفه أو شفقة ، فقد أطمأنت له وفتحت له قلبها ،كشفت عن المستور، فصدمها هو الآخر وأجهز عليها وذبحها بسكين بارد ، فضاعف من ألآمها ومعانتها، فقد ساقتها الأقدار لهذا المصير الذي وصلت إليه ، هي التي كانت طوال مشوار حياتها ينبوع للعطاء والجدية ، فأصبحت فتاة بائسة ، تعيسة الحظ ، ضئيلة الحيلة ، أعطت قلبها المثقل بالحنان الدافئ لأول طارق بكل بساطة فظفر بها بغته وأصابها الخزي والعار، فتكبدت وحدها هذه الفاجعة . أستحوذ عليها شعور جارف بالقهر فظلت تسير حتي قادتها قدماها إلي حيث منتصف كوبري الجامعة ، توقفت قليلا ، وأخذت تنظر بعمق إلي صفحة النيل وهي تضع يدها علي سور الكوبري ، وقد تسمرت نظراتها شاخصة في مياه النهر المتدفقة .. اقترب منها شابين في العشرينات من العمر يرتدي أحدهم قميص أحمر قان بنصف كم رغم فصل الشتاء وبنطلون بيج والآخر يرتدي بلوفر رمادي علي بنطلون جينز ويضع علي عينيه نظارة

شمس زرقاء وكانا يسيران علي الكوبري فاستوقفهما مشهد نرمين الواقفة بمفردها علي الكوبري وهي مثخنة بالجراح ، فقال الشاب الأول لزميله وبصوت مرتفع :

- ده باين عليه أتأخر قوي .. يظهر إنه مش جاي .

فرد عليه الشاب الثاني وبلهجة تهكم واضحة :

- جايز العجلة بتاعت العربية نامت منه في السكة .

اقترب الشاب الأول ووقف علي يسارها ووقف الأخر علي يمينها ثم قال الشاب الأول كأنه يخاطب زميله بلهجة ذات معني وهو يغمز له بإحدى عيناه :

- ويمكن مش هييجي خالص .. بقولك إيه مادام هو نفضلك .. نفضله أنتَ التاني وطنشه وتعالي معانا .. إحنا برده بنعرف نخدم زيه .. وكمان عندنا مكان هيعجبك خالص

انتبهت نرمين من غفوتها علي صوت الشابين .. فانسحبت من بينهما بهدوء .. ثم اسرعت الخطي حتي ابتعدت عنهما .. وعبرت الطريق إلي الجانب للآخر من الكوبري .. أشارت لتاكسي .. فتوقف سائقه .. ثم دلفت بداخله .. وطلبت من السائق أن ينطلق بها إلي المنيل.

# (١٦)

جلست نرمين داخل حجرتها أمام مكتبها مساءً مهمومة تذاكر، تحاول أن تنسي ما حدث بالأمس من مدحت .. فقد وصلت حالة الاحباط واليأس التي سيطرتْ عليها لأقصي درجة ، وازدادت حالتها النفسية سوءً لدرجة أنها أصبحت ساخطة علي الحياة تشعر بالعجز التام تتمني أن تتخلص منها .. كان لا يزال صوت مدحت يرن في أذنيها بشدة .. كم كان سخيفاً جدا معها .. كان كبرياءه متضخماً إلي حد كبير ، يمتلك قلباً قاسياً من الفولاذ بلا مشاعر أو أحاسيس -

*" اتجوزك أنتي ..أنتي ناسية أنا مين وشغلتي إيه .. أنا شغلتي أني أقبض علي البنات الساقطات اللي زيك .. زمان اللي كانت بتعمل زيك كده كانوا أهلها بيخلصوا عليها "* -

وظلت شاردة البال طوال الوقت .. تقلب صفحات الكتاب الموجود أمامها بعدم وعي وتركيز وبدون أن تشعر بنفسها مدت يدها بتلقائية ورتابة علي كشكول أمامها وقلبت صفحاته بملل وفجأة وجدت رسالتي التي كنت قد كتبتها إليها وطويتها بين صفحات الكشكول فراحت تقرأها بنفس مكسورة ، فقد كتبت لها السطور التالية : " عزيزتي نرمين "

أكتب لكي هذه السطور بعد أن ترددت كثيرا للكتابة إليكِ لخوفي الشديد مما قد يترتب عليها من عواقب قد لا تحمد عقباها ، ولكنني وجدت شيئا ما يدفعني رغما عني بشدة للكتابة ، فقد حاولت مراراً وتكراراً أن أكبح جماح هذه العاطفة الجيَاشة التي كانت تنمو بداخلي يوما بعد يوم حتي ملأت خلجات فؤادي و غلبت علي كل حواسي ووجداني فلم أستطيع السيطرة عليها وفي النهاية لم أجد بُداً من الكتابة لكي يا أغلي إنسان بعد أمي .. فإذا وصلت لكي هذه الرسالة ولم أتلقي رداً منكي عليها فسوف أعلم أنها أغضبتك .. ويعلم الله وحده مدي مكانتك في قلبي ولسوف أحبك ما حيت .. انتظر منّك مكالمة علي رقمي : ٠١٨٥٤٠٨١٦ المحب بإخلاص/ أيمن يوسف

طوت نرمين الورقة بعد الانتهاء من قراءتها.. انتابتها حالة من الذهول والاندهاش وقد لمعت الدموع في عيناها.. تذكرت نظراتي لها.. كيف لم تلاحظ أعجابي بها منذ أول يوم تزاملنا فيه بالكلية .. كان حبي لها من طرف واحد .. فقد استولت علي قلبي منذ أول يوم تعرفتُ عليها .. كانت حرارة حبي لها تتنامي و تزداد توهجاً رويدا رويدا مع الأيام .. ولم أفقد يوما ما الأمل في الوصول إلي قلبها .. بالرغم من انشغالي وهمومي والتزامي الذي كنت أحمله علي عاتقي نحو أسرتي .. كان حلم الاقتران بها لطالما راودني في أحلام يقظتي وفي منامي .

❖ ❖ ❖ ❖

جلس علي مائدة الطعام كلا من مدحت ومنار بمفردهما لتناول الغداء فقد سافرت الأم منذ ثلاث أيام للإسكندرية لزيارة أبنتها نجوي لسفر زوجها الدكتور عصام مندور للمؤتمر الطبي في برلين .. لاحظت منار حالة مدحت كان متجهما، لم يخرج من حالته التي اصابته منذ مقابلة نرمين عند الجامعة ، أشبه بهدوء المنكوب بعد الفاجعة ، حاولت منار التحدث معه فقالت له :

- تسمح لي يا أبيه إني أتكلم معاك بصراحة وبدون ما تزعل مني ..
- لا خدي راحتك ..
- أنا ملاحظة إنك أتغيرت من يوم ما قابلت نرمين .. من ساعتها وأنت في الحالة دي .. قولي هي عملت معاك حاجة زعلتك
- قصدك أيه ؟
- ما أقصدش حاجة معينة .. بس أنا شايفه إنك من يومها وأنت متضايق قوي .. وحالتك متغيرة .
- لا بس بيتهيأ لك
- يا أبيه هو أنا مش عرفاك .. طيب ليه لما رجعت من بره في اليوم ده حرجت عليّ إني ما أكلمهاش أبدا

ولا حتي أتصل بيها .. وليه بطلت تجيب سيرتها بالمرة .. أكيد حصل حاجة .. صح

قال مدحت باهتمام وبلهجة المكلوم :

- مدام أنتي أتكلمتي بصراحة كده .. أنا كمان لازم أتكلم بصراحة .. اللي زي زميلتك نرمين دي نوع من البنات بيمشوا في الدنيا وهما لابسين مسك .. يعني بوشين .. وش يلبسوه قدام الناس ووش تاني محدش يعرف عنه حاجة غير بس اللي يقرب منهم قوي يقدر يشوفه .. وأنا لما فكرت في يوم من الأيام إني أرتبط بنرمين شفتها وهي لبسة المسك .. ولما قربت منها كشفت لي عن وشها الحقيقي اللي مخبياه عن الناس .. من الآخر كده نرمين زميلتك دي سلوكها منحرف .. لما تشوفيها تفتكريها رقيقة ومؤدبه وهي في الحقيقة ميه من تحت تبن .

ردت منار وقد بدا عليها حيرة :

- أنا مش مصدقة كل اللي قلته ده علي نرمين .. معقولة .. معقولة نرمين تكون كده .. طيب إزاي .. إزاي قدرتَ تحكم عليها الحكم القاسي ده .. وإيه هي الحاجة الغريبة دي اللي عرفتها عنها وخليتك تقول عليها كده .. أكيد أنت بتبالغ قوي يا أبيه .. أنا

أعرف نرمين من أربع سنين عمري ما لاحظت عليها حاجةٍ وحشة .. بل بالعكس دي أحسن واحده فينا أخلاقاً وأدباً .. يا أبيه أنت أكيد فهمت حاجة غلط .. حاول تراجع نفسك تاني .. ممكن تكون غلطان.

فقال مدحت بشبه ضيق وبلهجة أقرب للحسرة:

- للأسف يا منار .. هي دي الحقيقة بدون أي مبالغة .. وصدقيني أنا عمري ما كنت عادل في الحكم علي حد زي المرة دي .. وما تنسيش إن طبيعة شغلي علمتني حاجات كتيرة .. وخصوصا إني بتعامل كل يوم مع بنات وستات من نوعيات مختلفة .

ثم أنهي حديثه بشيء من الحسم قائلا :

- لو سمحتي بلاش نتكلم تاني في الموضوع ده .. وياريت تنفذي اللي قلت عليه قبل كده .. لو بتحبي أبيه مدحت حاولي تقطعي علاقتك بالبنت دي نهائيا.

ردت منار ونظرات عيناها تفيض بشعاع حزين:

- حاضر يا أبية .. تحت أمرك .. حا حاول أعمل اللي انت عاوزه .

# (١٧)

لقد وهب الله الحرية للناس وكرمهم بها ليكرموا هم انفسهم لا ليجعلوا من الحرية عبئا . فالحرية وسيلة للإنسان أن يصبح عزيزا في الحياة كريما علي نفسه وعلي أهله . لم تكن الحرية في يوم من الأيام قيودا تفرض ثم تزال أو رقابة تسلط ثم ترفع أو احتلالا يمتد ثم ينحسر. إن الحرية لم تكن كذلك ولن تكون — إنها كرامة الانسانية . شعور الأدمي بالرقي وإحساس الفرد بأنه ذو حقوق يتمتع بها . إن الحرية كانت وما تزال وسوف تظل قوة كامنة في النفس البشرية الشريفة لا يمتد اليها مؤثر من خارجها . ومن الناس عبيدا تعودا أن يصفقوا لا يدرون لماذا أو يبكوا بشدة بدمع تساقط من عيونهم .. هؤلاء الناس عبيدا وإن أعطيت لهم حريات العالم أجمع . إن لهم نفوسا ركبت علي العبودية . ولن تجد إلي إطلاقها من سبيل لأن حياتها في تلك العبودية التي ترزح فيها. ولكن لا حرية بلا قانون . فالحرية بلا قانون فوضي وفي ظل الفوضى تستطيع أن تعتدي علي الآخرين

ولكن الآخرين أيضا يستطيعون أن يعتدوا علي حريتك وعلي كرامتك وعلي مالك وعلي كل ما تقدسه . فالفوضى لا تقدس شيئا ولا تنتهي عند أمد ومع العدالة والقانون تعيش الحرية في وئام . والأصل في الحرية أن تكون مصاحبه للعقل ملازمة له . والعقل يحتم أن نعترف بالعلم ونعلي من شأنه ونرفع راياته وكل عقل لا يحترم العلم عقل مذهوب غير موجود واستغلال الحرية والعبث بها استغلال لأشرف معاني الإنسانية ... تلك كانت مقالة الأستاذ أحمد عبد الجواد التي كتبها للجريدة لكي تنشر في عدد يوم الجمعة القادم الثامن والعشرين من يناير ، كتبها بالمقهى مساء اليوم الثلاثاء حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف ، أخبرني أن هناك دعوات متزايدة علي مواقع التواصل الاجتماعي بالخروج للتظاهر وأخبرني أنه حدث اليوم في وسط القاهرة مظاهرة أمام دار القضاء العالي سرعان ما امتدت إلي ميدان التحرير وقال أن المظاهرات لم تقتصر علي القاهرة ، بل كانت هناك مظاهرات في كل من الإسكندرية في ميدان القائد إبراهيم وفي السويس بميدان الأربعين ، وفي المحلة الكبرى وعدد آخر من الأماكن . حاولت الشرطة السيطرة عليها ومن المتوقع أن تزداد حدتها خلال الأيام القادمة وهناك حالة ترقب شديدة وتوقع الأستاذ أحمد أن تقع خلالها أحداث كبري تشهدها مصر وخصوصا بعد أن تواترت الأنباء عن سقوط بعض قتلي من المتظاهرين في السويس مما أشعل الموقف .. وأعلن عدد كبير من الشباب في

ميدان التحرير الاعتصام وعدم ترك الميدان مما دفع بقوات الأمن الاشتباك مع المعتصمين في محاولة لفض الميدان مساء اليوم .

وفي صباحٍ يوم التالي حوالي الساعة الحادية عشر وبينما كنتُ غارقاً في نعاس ثقيل.. إذ بجرس هاتفي المحمول يرن .. حاولت النهوض بتكاسل .. دعكتُ جفوني بأصابعي وأنا أتثأب .. وضعت ساقاي علي الأرض محاولاً الانتصاب بصعوبة .. تناولت يدي الهاتف الموجود علي منضدة صغيرة بجوار السرير ثم رددت بصوت هادئ :

-ألوه

إذ بصوتها أسمعه لأول مرة :

-صباح الخير
-صباح النور
-إزيك يا أيمن عامل إيه.. مش برضه ده تليفون أيمن يوسف
- أيوه .. مين حضرتك
-إيه أنت مش عارف صوتي .

سكتُ قليلا فقد تعثر صوتي في حلقي .. وفكرتُ برهة .. لم أصدق هل هي فعلا .. يا الله! .. ولم أدري ماذا أفعل .. فقد

سيطر عليّ شعور بالابتهاج ممزوج بالخجل يهز اعماقي .. خفق قلبي بشدة .. وإنتابتني رعشة في يدي .. فقلتُ لها بارتباك :

-أهلا يا نرمين
-إيه الكلام ده اللي أنت كاتبه .
-أناااا...
-أنت إيه .. إيه ده كله .. كل ده كنت مخبيه
-أنا حاولت إني أعبر عن أحساس عندي تجاهك .. لكن لو الكلام ده زعلك أنا متأسف جدا .
-تزعلني ..(بصوت حنون) .. أنت تزعلني .. بالعكس أنا أسعدني جدا كلامك الرقيق اللي كتبته .. بس ياريت يكون فيه شئ من الصدق والحقيقة ..ويكون فعلاً ده اللي في قلبك .
-مسير الأيام تثبت ليكي صدق مشاعري .. وتعرفي إني كنت مخلص وأمين في كل كلمة كتبتها لكي
-ها نشوف .. علي العموم أتمني إن الحالة اللي أنت عايشها تكون حب حقيقي مش مجرد وهم عاطفي زايف زي اللي بيعيشوه شباب اليومين دول ينهار ببساطة عند أول أزمة .. وأنا هسيف النمرة بتاعتك دي علي التليفون باسم مخلص أمين

ثم تسألت بنبرة صوت مازحة وقالت :

-أنت كنت واقف فين ؟

لم أفهم مقصدها من هذه الجملة .. لكني أردفت في دعابة قائلا.. وقد علا وجهي ابتسامة تفاؤل :

-أنا كنت واقف في الكلية .

وانهت المكالمة علي وعدٍ بأننا سوف نتقابل غداً في الكلية بعد انتهاء الامتحان فغداً الخميس هو آخر يوم في امتحانات نصف العام .

عندما تجاوزت الساعة الحادية عشر صباحاً ، بدأ الطلاب بالخروج تباعاً من لجان الامتحان ، خرجتُ إلي ساحة الكلية أنا وزميلي كريم شكري ، وأخذنا نسير قليلا أمام مبني الكلية .. فأخبرني بأنه سينزل غداً في المظاهرات ، وقال أن قوات الأمن ألقت بالأمس القبض علي عدد كبير من اصدقاءه في وسط البلد بسبب التظاهر وأن شباب الكلية ستخرج كلها في يوم غاضب كبير ، فاعتبرت أنهُ يبالغ في الوصف بشدة ، وإنهُ سوف يخرج غداً مع مجموعة من أصدقاءه لميدان التحرير ، ثم تركني وانصرف بعد أن اتصل به أخوه "شريف" وهو أحد أعضاء شباب حركة كفاية .. ولما خرجتُ من البوابة الرئيسة للجامعة كانت هناك حركة غير

طبيعية تسود الميدان .. وشممتُ هواء به ثمت رائحة دخان منتشر في الجو .. لاحظتُ بعض المناوشات الخفيفة بين جنود الأمن المركزي وبعض الطلاب الذين حاولوا التظاهر أمام بوابة الجامعة ، ورمقتُ عربات الأمن المركزي وقد ملئت الميدان بكامل تجهيزاتها .. رن هاتفي المحمول في جيبي .. فأخرجته وحدقتُ في شاشته .. فكانت نرمين .. طلبت مقابلتي في حديقة الأورمان .. وقالت إنها تنتظرني الآن عند البوابة المقابلة لميدان الجامعة .. ولما دخلتُ الحديقة وجدتها جالسة في انتظاري .. فنهضت علي الفور .. ألقيتُ عليها التحية .. ثم بسطتُ يدي لمصافحتها وقد رسمتُ علي وجهي ابتسامة صافية .. مدت يدها علي الفور وصافحتني بكل ثقة وقد ارتسمت ابتسامة جانبية علي وجهها .. وظللنا نسير داخل الحديقة .. مكثنا معاً لأكثر من ساعتين ونصف .. فتحت لي قلبها المجروح .. وراحت بمرارة تروي لي قصتها منذ عملها بالجمعية وما حدث من حسام هذا الوغد الخسيس وقصتها مع مدحت وموقفه معها أمام حديقة الأورمان فقلتُ لها :

-أقسم لك بالله يا نرمين إني لما كتبت لكي الجواب ما كنش في نيتي إني أبعته لك .. لكن ما عرفش ازاي حطته في الكشكول .. في حاجة غريبة بدون ما أشعر دفعتني لكده .. ولما لقيتك ماردتيش عليّ ضميري أنبني كتير وندمت .. قلت لنفسي ازاي أعمل كده ..

وكنت ساعتها عايز أعتذر ليكي بس مالقيتش فرصة لده .. وخصوصا بعد ما شفتك مكتئبة ودايما واخده جانب .. لكن دلوقتي عرفت السبب .

فقالت وقد لاح علي وجهها أسي :

-ما خبيش عليك أنا في الأول لما قريت الجواب مهتمتش بيه .. اعتبرته جواب عادي زي أي جواب من اللي بيكتبوه شباب اليومين دول للبنات في الجامعة وخصوصاً إني كنت بمر بحالة انهيار تامة .. بعد ما حصلت لي نكبة .. نكبة حطمتني وقضت عليّ .. وزي الغريق اللي بيتعلق في قشه لجأت لإنسان كنت فكراه هيخد بأدي وينجيني لبر الأمان لكنه مرحمنيش وعاملني بقسوة .. ساعتها وصلت لمرحلة اليأس الكامل .. اسودتْ الدنيا في عيني .. لدرجة إني فكرت أتخلص من حياتي اللي ماعد لهاش وجود .

-بالرغم من كل اللي حكتيه برضه عمري ما هغير رأيي فيكي .. وهتفضلي برضه حبيبتي .. بس ده ما يمنعش إنك اشتركتي في الجريمة لما استسلمتي في لحظة ضعف لشهوة شيطان .. كان لازم ترفضي وتقاوميه وتدافعي عن نفسك ولو وصلت إنك تقتليه .. للأسف دا كان درس قاسي ليكي عشان

تعرفي ازاي الإنسان الضعيف والساذج ممكن يكون فريسة سهلة لأي شيطان يضحك عليه .

فأجابت وبشيء من الهم يتسلل لقلبها :

-اعتداءه عليّ كان مباغت .. في لحظة شل فيها حركتي وشل تفكيري وخرجني عن وعيي .. ما حستش بنفسي .

ثم انخرطت في بكاء مفاجئ وبصوت مكتوم وقد تجمدت مكانها .. ظلت واقفه مكانها لدقائق وقد غمرها شعور بندم عميق .. لكن رغم ذلك شَعَرت بشيء من الراحة بعد أن تحدثت وقذفت بكل أوجاعها المتراكمة داخل ضلوعها .. بثت في نفسها طمأنينة .. حاولتُ تهدئتها فقلتُ لها بابتسامة هادئة :

-الله .. خلاص بقة وحدي الله كده .. حاولي تنسي بقة .. بصي لقدام .. أهو خلاص كلها كام شهر وتخدي الليسانس وتبقي محامية قد الدنيا .. علي فكرة أمي هتفرح بيكي جداً لما هتتعرف عليكي .. وأقولها دي نرمين عروستي .. ياريت تحبيها زي مامتك .

ثم مسحت دموعها التي سرحت علي وجنتيها بأناملها الرقيقة .. وأخذت نفس عميق .. لاحت في عيناها ابتسامة أمل .. وأكتسي وجهها الطفولي فرحا غامراً.. وقالت بهدوء وبطء :

-أكيد .. طبعاً .. طبعاً.. ده أنا هحطها في عيني

اندفعتُ قائلا لها في محاولة للترويح عنها :

-شوفتي المظاهرات اللي مليه البلد من يوم التلات اللي فات .. بيقولوا إن بكره هتخرج مظاهرات كبيرة في كل حته

فردت باقتضاب وبابتسامة تنم عن طيبة قلبها :

-في ناس كتير ناويه تنزل بكرة

في أحد أركان المقهى جلس عم سيد لمعي مع عم مليجي منذ قليل بعد صلاة الجمعة .. وبعد أن وضعت أمامهما ما طلباه من مشاريب .. سألني عم مليجي عن حالة هاتفي فأخبرته أنه لا توجد به إشارة استقبال علي شاشته منذ

الصباح .. حك عم سيد أرنبة أنفه بسبابته ثم هرش في رأسه وقد تغيرت قسمات وجهه واردف قائلا :

- الحكومة قطعة التليفونات من الصبح في كل حته

سعل عم مليجي سعلة خفيفة ثم تنحنح وقال بجزع :

- دا أنا من الصبح قبل الصلاة كنت عايز اتصل ببنتي اللي ساكنة في حلوان اطمأن عليها لقيت الشبكة واقعة .. قلت يمكن تليفوني باظ .

وإذ بالأسطي سمحان يدخل فجأة للمقهى مندفعاً كالطلقة وهو يلهث وصرخ فينا بصوت عالي قائلا :

- الحقو يا جماعة القيامة قامت

التفتُ له ثم قلتُ له باستغراب :

- فيه إيه يا أسطي سمحان مالك !.

توجه للمنصة وأخذ كوب فارغ وملأه بالمياه من الحنفية .. رفعه علي فمه .. تجرع الماء دفعة واحدة ..وعينا عم مليجي عليه وقد غمرته الدهشة .. ثم سحب كرسي وجلس بجوار عم مليجي وأخذ يلتقط أنفاسه .. وهتف وقد سرت في جسده لهفة الملتاع :

- الشوارع مليانه ناس من كل نوع والدنيا هيصة ولا يوم الحشر

فرد عم سيد متبرماً وقال بعد أن دعك جبهته ووجهه بيده :

- ما الشوارع هيصة من يومين .. والمظاهرات من يوم التلات شغاله في البلد .. وبقالي يومين مش عارف أشتغل

فأجاب الأسطي سمحان كالملسوع :

- المظاهرات في كل حته .. وكوبري قصر النيل مقفول ومليان أمن مركزي والدنيا مقلوبة.

فرد عم مليجي وقد اكتسي وجهه ملامح مغايرة :

- واتريني شامم ريحة دخان في الجو بقالي يومين .

فأقترب منا الأسطي عنبة يركض قادما من أول الشارع يبدو منزعجاً.. وهو يفرك عيناه بأصابع مرتعشة ثم وقف خارج باب المقهى وقال :

- شفتوا .. الحكومة بتضرب في الناس عند مستشفى الجلاء بالقنابل والخرطوش وريحة الغاز مليه الدنيا ..

وبتضرب من ناحية جامع سيدي السلطان ابو العلا .. عاملين علينا كماشة من ناحيتين.

رد عم مليجي بسخط وهو يضرب كف بكف قائلا :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. يا ستار أستر يارب .. اللهم أرفع مقتك وغضبك عنَّا

دخل فجأة الأسطي صبحي مندفعاً ثم صرخ فينا :

- ياله يا جماعة أنتم لسه قاعدين هنا والناس كلها خرجت

فقال عم مليجي بامتعاض :

- نروح فين يا صبحي .. بيقولك الحكومةَ عمَّاله تضرب في الخلق بالغاز والخرطوش

- خليك أنت يا عم مليجي .. أنت عيان وصحتك علي قدك .. أنا بقول للشباب

فرد الأسطي عنبة بثقة :

- ياعم مليجي دي حتي النسوان خرجت .. دا أنا شفت واحدة مدام حطة شنطة في كتفها وبتهتف والرجالة واقفين بيهتفوا وراها..

فقال عم مليجي بنرفزة :

- قصدك إيه بالظبط ياواد يا عنبة .. المظاهرات دي ماورهاش غير الخراب للبلد .. أنا مش عارف جره إيه للناس .. باين عليها أتجننت

فصاح الأسطي عنبة قائلاً :

- الناس زهقت من حالة البلد دي وضجت يا عم مليجي.

فرد عم مليجي وقد استفزته كلمات الأسطي عنبة :

- وهيه حالة البلد مالها ما إحنا عيشين كويس وزي الفل علي الأقل دي أحسن من بلاد كتيرة .. والله ما حيخرب البلد غير شوية العيال دي اللي في الشوارع

فجأة سيطرت علي عم مليجي نوبة من السعال الشديدة حتي تشنج وجهه واحمرت عيناه .. ثم التفت لي وتمتم بحنق وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة من صدر يعلو ويهبط :

- ما تفتحوا لنا التليفزيون ده خلونا نشوف إيه اللي بيحصل

فقلتُ له بلهجة فيما يشبه الضجر :

- الرسيفر بقاله يومين فاصل والمعلم خده أمبارح عشان يصلحه .

فقال الأسطي صبحي بعصبية :

- وهو حد فاضي يقعد علي قهاوي دلوقتي .. يا عم ما تقفل أم القهوة دي وياله نطلع .. ما كل العالم قفلت محلاتها النهارده .. دي الناس كلها في الشوارع .. ولا أنت عجبك كلام عم مليجي .

# (١٨)

كأن التاريخ يعيد نفسه مع حي بولاق ابو العلا ففي يوم ٢٠مارس عام ١٨٠٠م شبت ثورة القاهرة الثانية ضد الاحتلال الفرنسي وكان اهل حي بولاق ابو العلا هم شرارة الثورة بقيادة الحاج "مصطفي البشتيلي" من أعيان بولاق فقد ثار أهل بولاق وحملوا السيوف والبنادق والرماح والعصي وتحولت جميع الوكالات والمخازن التي علي النيل إلي شبه قلاع تحصن بها الثوار للدفاع عن بولاق وفي اليوم الرابع عشر من ابريل أنذر كليبر العاصمة بالتسليم ولكن ثوار بولاق لم يعبئوا وفي اليوم التالي بدأ الجنود بالهجوم علي الحي بقيادة الجنرال "بليار" وبدأ يصب عليهم نيران المدافع بشدة حتي تستسلم الأهالي ولكنهم اجابوهم بضرب النار فأطلق الفرنسيين النار علي المتاريس فحطمتها وهجم الجنود علي الاستحكامات فاقتحموا مدخل الحي وتدفق الجنود إلي شوارع بولاق وأضرموا النار في البيوت القائمة بها وحدث تخريب وتدمير شديد للحي حتي

أصبحت معظم بيوته ركاما من الخراب والأطلال المحترقة فقد ظلت النيران مشتعلة لمدة ثمانية أيام متصلة ، وقبض الفرنسيون علي الحاج مصطفي البشتيلي زعيم الثوار وحبسوه في القلعة .. ثم أشاع الفرنسيون بين أهالي بولاق أن سبب خراب ودمار بولاق هو البشتيلي فدفعوه إلي الأهالي فأخذوا يضربونه بالعصي و النبابيت حتي مات من الضرب وهكذا مات قائد الثورة بأيدي أهله وناسه من أهالي بولاق وراح ضحية الخبث الفرنسي ، لكن كليبر نفسه دفع ثمن ما حل بحي بولاق من خراب ودمار فقد لقي مصرعه يوم ١٤ يونيو عام ١٨٠٠م علي يد سليمان الحلبي في قصره بالأزبكية .

أغلقت المقهى بعد أن لاحظتُ أن كل رجال وشباب الحي قد اختفوا ، لم أجد أثراً للأسطي صبحي ولا للأسطي سمحان ولا عنبة وحتي صلاح لم يظهر منذ الصباح ، أما عم مليجي فقد ترك المقهى بعد أن أصبح لا يقوي علي الجلوس من شدة السعال الذي استحوذ عليه فجأة . ووقفتُ علي ناصية الشارع أُتابع ما يحدث ، اقتربت مني مسيرة قادمة من روض الفرج والسبتية متوجهه ناحية شارع الجلاء ، لاحظتُ العدد الكبير للمتظاهرين ، شباب ، غلمان ، سيدات ، فتيات ، أناس من كافة الطبقات وكل الأعمار ، شيءً ما دفعني لأن أنضم إليهم ، لم استطع منع نفسي ، ليكن ما يكون ، لن أتراجع .. لملمتُ شجاعتي ومضيتُ

معهم ، ظللتُ أهتف بحماس وسطَ هذه الجموع وقد سرت في جسدي مشاعر عاطفة جيّاشة وكأني أنفض غبار السنين عن صدر أمي .. هل أصبح لوجودي معني .. يا لي لهذا الشعب ، فجأة تفجرت طاقات الغضب المكبوتة لديهم ، أصبحت هاماتهم مرفوعة بعد أن كانت منكسة مكسورة. وصلتُ إلي ميدان عبد المنعم رياض في الساعة الخامسة والنصف ، كانت خيوط أشعة الشمس الصفراء تلوح في الأفق نحو الغروب ، امتلأ الجو برائحة دخان كثيف يزكم الأنوف ، كانت هناك غمامة غطت سماء القاهرة ، ولاحظتُ حالة من الهدوء تسود الميدان ، ورأيتُ إحدى عربات الأمن المركزي تحترق بالقرب من تمثال عبد المنعم رياض ، يبدو أن قوات الأمن المركزي قد انسحبت من الميدان بعد أن أُرهقت علي مدار الأيام السابقة .. وباتت السيطرة علي طوفان الحشود المتدفقة كموجات التسونامي دربً من المستحيل .. أصبحت هذه الجماهير الزاحفة علي وشك الحسم.. خيمت حالة من الاسترخاء بين جموع الناس المتواجدين بالميدان، وعند السابعة والنصف لمحت ألسنة اللهب تتصاعد من مبني الحزب الحاكم المجاور للمتحف المصري والذي يطل علي الكورنيش ..فشعرت بتوجس ماذا لو طارت شررة للمتحف ..بالتأكيد سوف تحدث كارثة .. ولاحظتُ عدداً من مدرعات الجيش تتحرك بسرعة في اتجاه مبني ماسبيرو تشق حركتها بين حشود المتظاهرين والتي امتلأت بها الشوارع وسط صيحات الحناجر التي تهتف "*الله*

*أكبر . الله أكبر . الشعب والجيش إيد واحده* " ، سرعان ما طوقت الدبابات منطقة ماسبيرو وحول مداخل ميدان التحرير وعبد المنعم رياض ، مرت أمامي إحدى العربات المدرعة المنطلقة بسرعة ، فجأة اجتاحني شعورا مباغتً بالفخرٍ ، ووجدتني وبدون أن أشعر وقفت في مكاني منتصبا شامخا، وبحركة لا إرادية أشرتُ للجنود الموجودين فوق المدرعة بتحية عسكرية ، وقد فرت دمعه من عيني . وعند الساعة الثامنة والنصف كنت واقفا وسط تجمع كبير من الشباب أمام بوابة المتحف المصري.. فقد قمنا بعمل حائط بشري حول المتحف بعد أن تواترت أنباء عن قيام بعض اللصوص والبلطجية باقتحامه وسرقة بعض محتوياته. كانت نرمين في هذه الأثناء في تظاهرة خرجت من شارع المنيل وتوجهت إلي شارع القصر العيني ، ولما وصلت لشارع القصر العيني عند مسرح السلام كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساء كان شارع القصر العيني يغص بالمتظاهرين ، وفجأة ظهرت سيارة فارهة بيضاء مكتوب علي لوحاتها المعدنية "هيئة سياسية" خرجت من شارع الإبراهيمي المتفرع من شارع القصر العيني ،أخذت تتلمس طريقها بهدوء وسط المتظاهرين .. وفجأة وعلي غير توقع اندفع سائقها الأخرق بسرعة هستيرية يفرم في المتظاهرين بكل تهور وهمجية ، يطيح بأجسادهم كحذاء يدهس مجموعة من الصراصير.. أخذت الأجساد تتطاير أمام السيارة الهوجاء المندفعة بجنون.. سقط بعض منهم تحت عجلاتها

مهروسا.. طار جسد نرمين في الهواء عدة أمتار ثم ارتطمت مؤخرة رأسها برصيف الشارع الأوسط ، انبثقت الدماء من أذنيها وأنفها .. دُهست في لحظات معدودة ومعها عشرون ضحية.. تفجرت موجه عارمة من الغضب بين جموع المتظاهرين والتي رأت المشهد المهول أمامها وراحت تحطم كل شيء في طريقها مهما كان، وهي تطلق صرخات هائلة .. حتي أنها أخذت تحطم ألواح من الصاج كانت تحيط بمحطة بنزين يتم صيانتها .. واندفع عدد منهم إلي السيارة المنطلقة وأوقفوها وأخرجوا سائقها المعتوه ،وأنقضوا عليه بالصفع واللكمات في كافة أنحاء جسده وهم في قمة انفعالهم حتي فارق الحياة من كثرة الضرب العنيف ،وحطموا السيارة الملعونة .. تم نقل الجثث لمشرحة زينهم. لكن نرمين كانت لا تزال علي قيد الحياة فنُقلت في سيارة الإسعاف إلي مستشفى القصر العيني الجديد وكانت فاقدة الوعي وفي حالة حرجةٍ ،فقد أصيبت بنزيف حاد في المخ وبذل الأطباء جهداً كبيراً في محاولة لإنقاذها ، ولكنها كانت علي موعد للقاء ربها.. فارقت الحياة في الخامسة والنصف صباح يوم السبت. كلما شاهدت الفيديو الذي ألتقطه أحد المتابعين من شرفة أحد المباني اشعر بمعاناة نفسية شديدة.. تعصر قلبي الآلام.. ويظل اليأس والقنوط يطاردني ليل نهار.. صورتها تراودني دائما لا تفارق وجداني.. حتي في منامي .. راحت نرمين تركت عالمنا .. تركت عالم الباطل وأضحت في عالم الحق.. رحلت نرمين .. انطفأت شمعتها

للأبد .. غابَ جسدها تحت التراب.. نرمين خيالكِ في عيني وذكركِ في فمي ومثواكِ في مهجتي فأين تغيبي ؟.. ادعو الله أن يغفر لها خطيئتها .. نرمين يا أغلي من عشقها فؤادي .. هكذا فرّق بيننا الموت.. كنتي ضحية في حياتك .. وضحية عند مماتك .. نرمين أهكذا تكون نهايتك .. تطيح بحياتك عجلات سيارة مجنونة .. عندما أخبرني كريم بخبر وفاتها مساء اليوم ـ السبت ٢٩ يناير٢٠١١ ـ شعرت برجفة هائلة تسري في كياني كله ، وغامت الدنيا في عيناي ، أبهذه البساطة تزهق الأرواح البريئة ، ألهذا الحد صلت الحماقة .. لكن هذه هي مشيئة الله .. قدر الله مجيئنا لهذا الوجود ، وأختار وحده وقت رحيلنا عنه ، كل شيء يمضي وفق قدره ليصل لنهايته المحتومة ، الباقي وحده هو الخلاق العليم .

-انتهت -